وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر –بسكرة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية

شعبة الفلسفة



عنوان المذكرة:

صراع الخير والشر عند القديس أوغسطين

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص فلسفة عامة

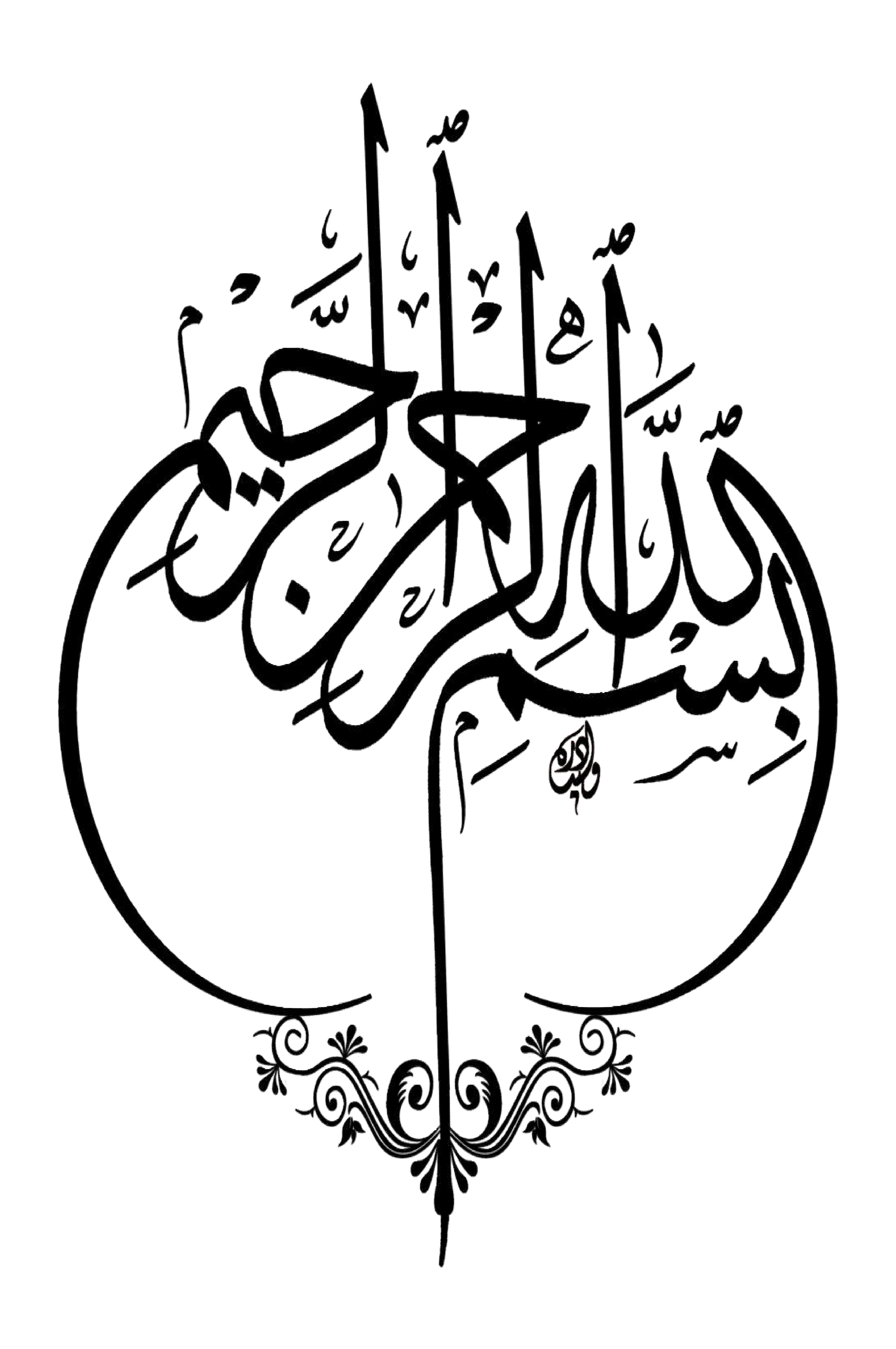
إعداد الطالبة:

مساهل صبرينة

إشراف الدكتور:

الوردي حيدوسي

السنة الجامعية: 2019/2018


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

بدانا بأكثر من يد ،وقاسينا أكثر من هم ،وعانينا الكثير من الصعوبات وهانحن اليوم والحمد لله نطوي سهر الليالي وتعب الأيام وخلاصة مشوارنا بين دفتي هذا العمل.

اليوم وبكل فخر أهدي ثمرة جهدي المتواضع إلى رمز العطاء والأبوة إلى رمز الكفاح في الحياة إلى الذي تعب من أجل تربيتي وغرس القيم والأخلاق في قلبي إلى من أحمل لقبه بكل فخر واعتزاز أبي أطال الله في عمره.

إلى من حملتني وهنا على وهن وسقتني نبع حنانها وعطفها إلى من ظلت دعواتها رفيقتي ورضاها عني سر نجاحي إلى من انتظرت يوم النجاح هذا أمي الغالية.

إلى من قاسموني عطف وحنان أمي وأبي إلى الشموع التي أضاءت حياتي إخوتي وأخواتي الأعزاء.

إلى من أعتز بصداقتهم خلود صفاء رابعة إلى كل من عرف معنى التعب والسهر في سبيل البحث عن العلم والمعرفة.

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي

صبرينة مساهل

شكر وعرفان

الحمد لله الذي خلق الإنسان وزوده بنعم كثيرة منها العقل والصبر هذه النعم التي كانت وراء إتمام هذا العمل المتواضع جدا مقارنة بما كنت أتمناه والذي جاء بعد ثمرة جهد راجين منه تعالى أن يجعله خيرا وسعادة لمن يسلك درب العلم وأن يجعله صدقة في ميزان حسناتنا.

اعترافا مني بالجميل والفضل للأهل الفضل فمن لم يشكر الناس لم يشكر الله أتقدم باسم معاني الشكر والتقدير إلى كل من تكرم بالأشراف على هذا العمل ولم يبخل عليا بتوجيهاته القيمة ودعمه الدائم للارتقاء بهذا العمل إلى أستاذي ومرشدي الدكتور **الوردي حيدوسي**.

كما أتقدم بالشكر والتقدير الخاص إلى لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة هذه المذكرة كما لا تفوتني أن أتقدم بالشكر إلى كافة أساتذة الفلسفة بجامعة بسكرة.

صبرينة مساهل

مقدمة

مقدمة

لقد مرت الفلسفة منذ نشأتها بالعديد من المراحل المتعاقبة ولم تعرف مسارا اتجاها واحدا بل عرفت اتجاهات مختلفة ,فكان تاريخها هو تاريخ التعدد والتنوع على مستوى الزمان والمكان، على مستوى القضايا والمفاهيم، وعلى الرغم من هذا الاختلاف إلا أننا نجدها اتفقت على شيء واحد ألا وهو فعل التفلسف ومن هنا كان تطور الفكر الإنساني هو تطور الفلسفة باعتبارها شكل من أشكال الفكر، وخلال هذا التطور كانت الفلسفة تعكس اهتمامات وانشغالات البيئة التي ظهرت فيها فكانت أفكار وتصورات الفلاسفة متمايزة ومختلفة، وهذا راجع إلى أن كل فلسفة هي إجابة عن أسئلة عصرها، وبالعودة إلى تلك العصور نجد حقبة العصور الوسطى الأشهر على الإطلاق إذ امتزجت فيها الفلسفة اليونانية مع الديانة المسيحية، كما أنها اكتسبت طابعا دينيا يتناسب مع مختلف جوانب الحياة الإنسانية، كل هذا يعود إلى آباء الكنيسة الذين يرجع لهم الفضل في مزج ما اطلعوا عليه من معارف سابقة مع تعاليم الدين المسيحي ونتجوا بذلك فكرا خاصا بهم وبالتمعن في ما تحمله فلسفة العصور الوسطى من قضايا اجتماعية وأخلاقية وحضارية نجدها قد شكلت محورا هاما لطرح الأسئلة الفكرية محاولة مناقشتها والإجابة عنها ولعل أبرزها نجد المشكلة الأخلاقية.

يعتبر القديس أوغسطين من أهم الفلاسفة والمفكرين الممثلين للفكر الأخلاقي في فترة العصور الوسطى وبالتحديد عصر الآباء الذي يعتبر بداية العصر الوسيط، ومن أهم الفلاسفة الذين شغلت المشكلة الأخلاقية وبالتحديد مشكلة الخير والشر جزء كبير من تفكيرهم باعتبارها من أكثر المواضيع التي تأمل فيها. فطرح على نفسه العديد من التساؤلات حول مصدرها والسبب في ذلك هو أن الإنسان منذ أن خلقه الله وجه الأرض وهو يعيش على هامش الاستعراف القياسي متمسك بعفوية الخوف

مقدمة

من المجهول وحتمية الصراع مع تناقضات الحياة، يدور في فلك التناقض المبهم من هنا يمكن اعتبار قضية الخير والشر أهم القضايا الفكرية حضورا وتعقيدا، كما شكلت منطلقاتها المعرفية المحور الأساسي للبحث عن مصير الإنسان ونهايته لهذا نجد هذه المشكلة قد شغلت فكر أوغسطين بل سيطرت عليه تماما وربما يمكننا القول أن هذه المشكلة هي السبب في تحولاته الفكرية من المسيحية واليها مرورا بالمانوية لما لها من سطوة على النفس البشرية من خلال تحديد سلوك الإنسان ودفعه نحو ساحة الصراع الذي يكون داخل نفسه بين هاذين القطبين وهو صراع أزلي لا ينتهي إلا بقمع الواحد منهما للأخر وبالتالي فهي من أكثر المواضيع التي اهتم بها أوغسطين وطرح حولها العديد من التساؤلات والتي كانت معظم أجوبتها متباينة بحكم تحولاته الفكرية وتجربته المعاشة.

وقد ركزت في هذا البحث على مشكلة الصراع بين الخير والشر عند القديس أوغسطين وحاولت الإجابة على إشكالية رئيسية تمثلت في: ما هي أبعاد دراسة القديس أوغسطين لفكرة الصراع بين الخير والشر؟ في حين أن هناك أسئلة جزئية أعتقد أن لها علاقة بالإشكالية العامة هي: ما هي أم التوجهات التي صاغت فكر أوغسطين؟ فيما يتمثل جوهر الخير والشر عند أوغسطين ؟كيف ارتبطت الخطيئة بدخول الشر للعالم ؟ هل الإنسان هو المسؤول عن فعل الخير والشر؟ما هو موقفه من الصراع بين الخير والشر؟ وما هو سبيل البشرية للخلاص من الطبيعة الشريرة والوصول إلى الخير المطلق؟

وكمحاولة مني للإجابة على الإشكالية الرئيسية والأسئلة الفرعية ارتأيت أن اقسم هذا البحث إلى ثلاثة فصول إضافة إلى مقدمة وخاتمة:

الفصل الأول: يعالج السيرة الفكرية للقديس أوغسطين وأهم أعماله ارتأيت أن اقسمه هو الأخر إلى مبحثين حيث سردت في المبحث الأول نبذة مختصرة عن حياة أوغسطين ومرجعياته الدينية وأثاره الفكرية أما المبحث الثاني فقد تطرقت فيه إلى طبيعة الاتجاه الفلسفي عنده من خلال عرض طبيعة تحوله العقلي إضافة إلى السمات العامة لفلسفته والمنهج الخاص به بهدف إزالة الغموض الذي يكتنف هذه الشخصية ليفتتح بعد ذلك الفصل الثاني أبوابه بعنوان المشكلة الأخلاقية وجوهر الخير والشر عند أوغسطين حيث قسمته هو الأخر إلى مبحثين حيث تطرقت في المبحث الأول إلى تأصيل فكرة الخطيئة عند أوغسطين ثم أصل الشرور في العالم وأنواعها لأنتقل بعد ذلك إلى المبحث الثاني والذي خصصته لفكرة الخير والفضيلة ثم عملت على إبراز أهم الفضائل عنده لأختم بحثي هذا بعنوان رئيسي ومهم في الفصل الثالث والذي جاء تحت عنوان حقيقة المدينتان وموقف أوغسطين من الصراع بين الخير والشر والذي قسمته هو الأخر إلى مبحثين تطرقت في المبحث الأول إلى حقيقة المدينتان والغاية منهما كذلك أصل مرجعية هذه النظرية وخصائص كل مدينة ثم حاولت توضيح موقف أوغسطين من الصراع بين الخير والشر والذي تطرقت فيه إلى أن الشر فساد في المجتمع والفضيلة سبيل النجاح إضافة إلى أن الصراع هو السبيل الوحيد للسلام الأبدي وان السعادة الأبدية لمدينة الله لأختتم البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها من عناصر هذا البحث

ولعل من بين الأسباب التي دفعتني إلى احتيار هذا الموضوع نجد:

الدافع القوي للخوض في أعماق هذه النفس الإنسانية بهدف الكشف عن الجانب المهمل الذي لم يلقى الضوء عليه تخوفا من صعوبة التعامل مع فكره.

عدم اهتمام الدارسين الجزائريين به على الرغم من كونه جزائري هو ما جعلني اكتب حوله بهدف لفت الانتباه إلى احد الشخصيات المهمة في الفكر الجزائري بصفة خاصة والإفريقي بصفة عامة

الرغبة في إظهار مكانة الفكر الأخلاقي المسيحي من خلال ما قدمه فلاسفة المسيح للفكر الأخلاقي لاسيما أوغسطين.

أما بالنسبة للهدف من الدراسة:

هو أنني رأيت أننا اليوم وأكثر من أي وقت مضى بحاجة إلى إعادة قراءة الفكر المسيحي والنظر إليه بعمق قصد فهمه لذلك هدفت دراستي إلى لفت نظر القارئ لمكانة الفكر الأخلاقي الأوغسطيني ومالا له من دور في تطور الفكر الأوربي بصفة عامة والمسيحي بصفة خاصة وذلك من خلال تسليط الضوء على قضية من القضايا المهمة في ميدان الأخلاق المتمثلة في الصراع بين الخير والشر بهدف الكشف عن نمطية العلاقة وإبراز مدي أهمية موقف أوغسطين من هذا الصراع باعتباره فيلسوف ولاهوتي ورجل دين مسيحي

وقد اعتمدت في بحثي هذا على مجموعة من المناهج ليكون البحث أكثر وضوحا من بينها:

المنهج الوصفي: لأنه هو الوحيد الذي يساعدنا على استيعاب حياة أوغسطين أكثر من خلال وصف أهم ما مر به وأهم التوجهات التي صاغت فكره.

المنهج التحليلي: لأني أراه مناسبا في تحليل بعض نصوص الكتاب المقدس ونصوص القديس أوغسطين الأصلية التي احتوت على بعض الغموض وهذا راجع إلى أنها مترجمة وتعود إلى فترة زمنية بعيدة.

المنهج التاريخي: فقد اعتمدت عليه من اجل ضبط الجذور التاريخية لبعض الأفكار مثل فكرة الخطيئة واصل الشر في العالم وأصل مرجعية المدينتان ...

المنهج المقارن: من أجل مقارنة أوغسطين بغيره لاسيما في فكرة المدينتان والاختلاف بينهما.

وكغيرنا من الباحثين واجهتنا العديد من الصعوبات والتي تتمثل في:

القراءة النمطية لفكر القديس أوغسطين فمهما تجرد الباحث وحاول الدراسة بشكل موضوعي لعينة بحثه فإنه يبقى أسير ثقافته خصوصا إذا المفكر أو الموضوع المدروس شخصية دينية مسيحية.

اعتماد معظم فلسفة أوغسطين على الكتاب المقدس لذلك وجب علي أن اعتمد عليه هو الأخر هذا ما كان صعب علي نتيجة الغموض الموجود فيه خاصة وأن ما يحتوي عليه الإنجيل يبدو أسطورة.

صعوبة فهم بعض المصطلحات وهذا راجع إلى فكره المعقد وصعوبة أسلوبه

التناقض الموجود بين المراجع التي تناولت فلسفة أوغسطين جعلنا نجد صعوبة في تحديد موقفه بالضبط من حالة الصراع .

على الرغم من هذه الصعوبات إلا أني حاولت تجاوزها قدر ما استطعت سواء نجحت أم لا فليس لنا حق الحكم فإن أصبنا فمن الله وإن أخطأنا فمن عندنا وأنا قد حاولت أن أفيد واستفيد وعلى العموم فإن فوق كل ذي علم عليم والكمال لله العلي العظيم.

الفصل الأول:

السيرة الفكرية للقديس أوغسطين وأهم أعماله

الفصل الأول: السيرة الفكرية للقديس أوغسطين وأهم أعماله

المبحث الأول: حياته الفكرية ومرجعياته الدينية

المبحث الثاني: طبيعة الاتجاه الفلسفي عند أوغسطين

الفصل الأول: السيرة الفكرية للقديس أوغسطين وأهم أعماله

تعد الفلسفة المسيحية المؤسسة الرسمية الوحيدة التي شكلت حياة العصور الوسطى وفكرها ،فكان الرهبان والآباء أول من تصدى لهذه المهمة، كونهم اطلعوا على ارث الحضارة اليونانية ليسقطوا لاهوتهم المسيحي على أبرز المسائل الفلسفية، ويعد القديس أوغسطين من أشهر وأعظم هؤلاء الآباء، وهو شخصية مركزية في المسيحية وتاريخ الفكر الغربي على حد سواء، فقد سيطر اسمه في الفكر الغربي ولم يفقد بريقه حتى الآن وفي هذا الفصل سوف نحاول التركيز على أهم التوجهات التي صاغت فكره ولتوضيح هذه التوجهات يجدر بنا أن نعرج أولا على تعريف هذه الشخصية التي مثلت الفكر المسيحي في العصر الوسيط محاولين التركيز على حياته ومبرزين أهم مرجعياته الدينية والفكرية وأهم أثاره كذلك توضيح اتجاهه الفلسفي ومنهجه.

المبحث الأول: حياته الفكرية ومرجعياته الدينية

المطلب الأول: حياته

أوغسطين "لاهوتي وفيلسوف مسيحي أحد كبار آباء الكنيسة الكاثوليكية ولد في تاغست* (tagaste) في 13 نوفمبر 354م"[1]، في زمنه كان هناك انتشار كبير لكل من الديانتين الوثنية والمسيحية نشأ في بيت يجمع بين هاتين الديانتين حيث كان والده وثنيا (باتريكس) بينما كانت أمه مسيحية (مونيكا) تقية غيورة متحمسة لدينها[2].

إلتحق بالمدرسة في سن مبكر وعند بلوغه الثانية عشرة من عمره ذهب إلى مدورا** ليكمل تعليمه في معهد شهير حيث أرسى أساس معرفته بآداب اللغة اللاتينية وقواعدها، عرف بميله إلى الرذائل والمجون في صغره حتى شبابه وعند بلوغه السادسة عشرة من عمره

---

[1] باور أحمد حاجي : الفلسفة السياسية من كونفشيوس إلى هيغل (دار أسامة للنشر والتوزيع .ط1.الأردن عمان .2016) ص 57

*تقع في مقاطعة نوميديا المعروفة اليوم بإسم سوق أخرس على بعد حوالي 100 كلم جنوبي عنابة (أنظر .أوغسطينوس .الرسائل المتبادلة بين هيرونيمس وأوغسطين .تر سعد الله جحا .دار المشرق ط1 بيروت .لبنان ، 2011 .ص 8

[2] لوديي عبد السلام :صراع أوغسطين،(دن،دب.ط1.1990) ص 3

**إحدى المدن الصغيرة في نوميديا تبعد 25كلم عن تاغستا كانت مركز ثقافي مرموقا (انظر علي زيغور: أوعسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطية، دار إقرأ، ط1 . بيروت ،1983، ص 103)

ترك المدرسة نتيجة عجز والديه على إرساله إلى قرطاجة للإكمال تعليمه إذ قال أوغسطين :"في تلك السنة مع ذلك قطعت دراستي أعادوني من مدوروش تلك المدينة القريبة التي كنت بدأت أقيم فيها بعد بغية تلقن الأدب والخطابة إذ كان أبي يعد لي النفقات للإقامة أطول بقرطاجة باسم طموحه وكان طموحه أكبر من ثروته لأنه كان مواطنا متواضعا جدا من أهل مدينة تاجاستة"[1]، أي أنه ترك المدينة بسبب ظروفه المادية.

في هذه الفترة تحول إلى حياة اللهو والمجون والتقى بأقدس المحرمات[2]، وقد وصف حالته هذه بقوله: "ولدى خروجي من طفولتي و ابتغاء إرواء تعطشي لأخس الشهوات أسلمت تياري لما لانهاية له من الشهوات المتزايدة في قلبي يوما بعد يوم كأنها غابة كثيفة"[3]،أي أنه في هذه الفترة تحولت حياته كليا إلى الأسوء.

بعد سنة تقريبا تحسنت أحواله والتحق بالمدرسة من جديد فتعلم الخطابة والبيان، وبالرغم من كرهه للمحاماة إلا أنه مارسها حيث قال: "نجاح المرء في فن المحاماة رهين بكذبه ونفاقه"[4] فأي محامي أراد النجاح لابد أن يمارس الحيلة والكذب .

في هذه الفترة تأثر بالطقوس القذرة التي ارتبطت بها الديانات والعبادات المستوردة من الشرق وكان أوغسطين قد صار رجلا تسوقه أهواء جامحة وشهوات عنيفة أدى كل هذا إلى عزوفه عن الأخلاقيات المسيحية ومثلها الروحية العليا، حيث تعرف على امرأة عاش معها حياة زوجية غير شرعية مدة طويلة أنجب من خلالها طفلا سماه اديودات* أطلق عليه فيما بعد "ابن الخطيئة"[5] باعتباره أول خطيئة في حياته مخالفة لما ربته عليه أمه مونيكا، "وقد كان ذكاء هذا الابن مثار إعجاب الجميع وطالما تناقش مع أبيه في موضوعات عديدة وقد سبب موته وهو في الثامنة عشرة من عمره حزنا عميق للآبيه"[6].

---

[1] أوغسطين:الإعترافات .تر إبراهيم الغربي ،(المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون ،ط1،تونس،2012) ص ص 55 .56

[2] أوغسطين ،الإعترافات ،تر الخوري يوحنا الحلو (دار المشرق ،ط4 ، بيروت لبنان ، 1991) ص 1

[3]-عبد الرحمن بدوي : موسوعة الفلسفة ،(المؤسسة العربية ، ط1،بيروت ، لبنان . ج1، 1984) ص 248.

[4]-أوغسطين : الإعترافات ،تر الخوري يوحنا الحلو ، المصدر سابق ص 2.

*هو الإبن الغير الشرعي للقديس أوغسطين، وهو الذي إعتمد عليه في محاورة المعلم ....(أنظر :أوغسطين . المعلم ، تر : حسن حنفي ، مكتبة الأنجلو مصرية ، ط2، القاهرة ،1978،ص 10)

[5]-عبد الرحمن بدوي . المرجع السابق ص 249

[6]- علي زيغور، المرجع السابق .ص 100

وفي سن التاسعة عشرة قراء أوغسطين مؤلفات شيشرون* والتي أثرت فيه، حيث يعتبر هذه المؤلفات خاصة كتاب "هورطانسيوس" نقطة تحول كبرى في حياته والتي من خلالها توجه إلى دراسة الفلسفة والحكمة، كما اقتنع بوجوب البحث عن الحقيقة، تعرف كذلك على مذهب الشك وقراء أيضا الكتاب المقدس لكن ليس بروح الإيمان وإنما من باب العلم به لا أكثر، لكن سرعان ما انصرف عنه ومع ذلك فإن هذا الكتاب أثار في نفسه العديد من التساؤلات ولعل أبرزها مشكلة الشر ظلت هذه الأخيرة تشغل باله فبقى يبحث عن تفسير لها مدة طويلة من حياته[1].

في تلك المرحلة تبنى المانوية ** معتقدا أنه وجد فيها العفة والحقيقة التي طالما بحث عنها، ولما رأت مونيكا ابنها ينحرف سلوكيا وعقائديا طردته من بيتها غير أن محبتها له جعلتها ترده إليها مرة أخرى وكانت دموعها لا تجف طالبة خلاص نفسه.

ظل أوغسطين تسعة سنوات مخدوعا بالمانوين معتقدا أنهم ينادونا بالعفة التي طالما أراد الوصول إليها إذ كان يقول "يا رب أعطيني الوداعة والعفة لكن ليس الآن"[2]، أي أنه كان يعلم أن الدين الحق هو الذي يمنع شهوات الإنسان من التغلب عليه وينال منه العفة ومع مرور الوقت عرف بطلان معتقداتهم وذلك حينما التقى برئيسهم الذي أشتهر بميله إلى الجماعات والتأثير فيهم ببلاغته باعتباره مطلعا على مؤلفات شيشرون فبدأ أوغسطين يسأله فوجده عاجزا على الإجابة على تلك الأسئلة فا اهتز إيمانه بالمانوية[3]، ويؤكد هذا بقوله : "ذلك أنه مضي ما يقارب تسع سنين تمرغت في ذلك الوحل العميق وفي ظلمات الضلال

---

[1] جاريث ب.ماثيوز: أوغسطين ،تر : أيمن فؤاد زهري (المركز القومي للترجمة،ط1،القاهرة مصر .2013) ص25.

* كاتب وخطيب وفيلسوف لاتيني ولد في 106 ق م بقرية أرينيوم ومات بها 43 ق م أرخ في البلاغة وأمتهن المحامات له مؤلف في الجمهورية (أنظر :جورج طرابيشي. معجم الفلاسفة . دار الطليعة للطباعة والنشر ط3، بيروت .. ص 378).

** مؤسسها ماني بن فاتك في القرن(3 ق م) ، يرى أن العالم يتكون من أصلين قديمين أحدهما النور والأخر الظلمة .مذهب فلسفي يقر بوجود مبدأئين كونيين متلازمين هما مبدأ الخير ومبدأ الشر(أنظر: مراد وهبة . المعجم الفلسفي . دار قباء الحديثة للنشر والتوزيع . القاهرة . 2007. ص 257_258)

[2] أوغسطين : في شرح موعظة الجبل . تر بشرى الكرنك دط ، الإسكندرية 1962،ص ص 13، 14

[3] المصدر نفسه ص 15

وكانت المحاولات المتتالية للخلاص تزيد من غرقي فيها"[1] أنه كشف خداعهم بعد مدة طويلة.

في عام 382 م قرر السفر إلى روما بسبب فظاظة الطلاب في قرطاجة وكذلك بسبب اقتراح من صديقة لينال مجدا وغننا فحاولت أمه منعه لكننه أوهمها بأنه ذاهب لتوديع صديقه وسافر تاركا إياها تتحسر غيبة ابنها غارقة في دموعها وهذا ما وضحه أوغسطين في اعترافاته "ولما عزمت على السفر وعرفت والدتي خفق قلبها من القلق و الاضطراب وجدت في أترى باكية حتى البحر وهي تجري والدموع من غير أن تقبل تسلية على فراقي ولما وجدتني أمسكتني وهي تصيح بي يا أوغسطينوس لا عليك إما أن ترجع معي أو تأخذني معك فكنت أموه عليها أني ذاهب لوداع صديقي في السفينة"[2]، ولما وصل إلى روما اشتد عليه المرض وأصيب بالملاريا لكن سرعان ما استعاد عافيته بعد مدة.

في هذه الفترة فتح مدرسة للخطابة وبعد مدة احتاج أحد حكام ميلانو أستاذ للبيان فأستدعي أوغسطين إلى تلك المهمة سنة 384م وكان قد فقد معظم إيمانه بالمانوية شاءت الأقدار أن يلتقي بأسقف ميلانو القديس **أمبروزيوس*** فأعجب به وهذا الأخير شمله بعطفه وحبه هو أيضا، في هذه الفترة لحقت به أمه إلى ميلانو وألحت عليه أن يترك فتاة الزنا فلبى رغبتها وأبعد أم ابنه عنه تاركا ابنه معه[3].

لقد كان للقديس امبرواز أثر كبير على أوغسطين حيث بدأ ينظر للكتاب المقدس والمسيحية نظرة أفضل كما تمكن من تقديم إجابات له على كل التساؤلات التي كان يثيرها لكن أهوائه العنيفة جعلته يتخذ له امرآة أخرى ثم انفصل عنها ليتزوج فتاة اقترحتها عليه أمه

---

[1] أوغسطين .الإعترفات ،تر ، إبراهيم الغربي ،مصدر سابق ص 90
[2] أوغسطين : الإعترافات ،تر ، الخوري يوحنا الحلو ،مصدر سابق ص 80
* احد معلمي الكنيسة اللاتينية أسقف مدينة ميلانو، وهو مثال للأخلاق المسيحية ،له العديد من الأعمال لعل أبرزها سر تجسيد الرب ، في التوبة ...(أنظر : يعقوب المالطي : نظرة شاملة لعلم الباترولوجي في الستة قرون الأولى ، دير الشهيد العظيم ، ط1 ، الإسكندرية 2008، ص 256
[3] أوغسطين ،في شرح موعظة على الجبل . مصدر سابق ص15

في ذلك الوقت قرأ الأفلاطونية الجديدة والتي كان من أثرها عليه أن مكنته من أن يدرك أن الديانة المسيحية ديانة معقولة كما شجعه أصدقائه من قراءة الكتاب المقدس والتعمق فيه فكشف له كيف يلزمه أن يحيا حياة مطابقة للحكمة وقد تأيدت هذه الانطباعات بفضل مقابلته لرجل و هو قسيس روي له قصة توبته **فيكتورينوس*** واهتدائه من الأفلاطونية إلى المسيحية الذي جعله يحتقر نفسه .

ذات يوما بينما كان جالسا في حديقة منزله ضاقت نفسه وبدأت الدموع تتساقط من عيونه فبدأ يصرخ قائلا "إلى متى هذا التشويق ولماذا أقول غدا؟ لماذا لا تكون هذه اللحظة نفسها هي الحد النهائي الحاسم لعهد الطيش"[1]، وبعد صراع عنيف مع نفسه سمع صوت طفل يصيح "خذ و أقراء... خذ و أقراء"، فأعتبر هذا الصوت بمثابة رسالة ودعوة من الإله ففتح الكتاب المقدس فكانت أول عبارة وقعت عليها عينه "إنها الآن ساعة لنستيقظ من **النوم** قد تناهى الليل وتقارب النهار فلنخلع أعمال الظلمة ولنلبس أسلحة النور"[2]، عندما سمع هذه الكلمات وفهم معانيها غمرت السكينة قلبه وغمر السلام نفسه وهكذا أسلم نفسه للإرادة وتغيرت حياته وكان ذلك في صيف 387 م حيث قام القديس امبروز بتعميده وهكذا تحققت أمنية والدته التي طالما انتظرتها والتي تمثلت في اعتناقه الديانة المسيحية ومن ذلك الحين تخلى عن تعليم الخطابة واهتم بدراسة المسيحية والدفاع عنها وعاد الى إفريقيا وفي الطريق ماتت أمه في إيطاليا فأقام في روما حتى 388 م ثم عاد إلى تاغستا وأسس جماعة رهبانية صغيرة هناك ثم عين أسقف لمدينة هيبون سنة 391 م كما ألف العديد من الرسائل و الشروحات المتوسعة للكتاب المقدس وقد ظل أسقف لمدينة هيبون حوالي أربعين سنة كان

*اسمه الكامل مارينوس فيكتورينوس ، علم البيان في روما حتى نصب فيها اله تمثال ، ترجم العديد من مقولات أرسطو (أنظر يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط ،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،دط ، القاهرة ، 2012 ،ص23

[1] أوغسطين ،الإعترافات .تر: زكريا إبراهيم ، مصدر سابق ص ص 11_ 12

[2] المصدر نفسه ص 14

فيها بمثابة قدوة ونموذج للرجل المثالي والصالح، توفي عام 430 م وقد قضي مدة من حياته مناضلا ومدافعا على العقيدة المسيحية[1].

المطلب الثاني: مرجعياته الدينية والفكرية

قبل الدخول في فلسفة القديس أوغسطين لابد من الإشارة إلى توجهاته السابقة على إيمانه المسيحي هذا راجع لكون حياته الفكرية تتخللها العديد من النقاط بدورها جعلت حياته مليئة بالثغرات الجذرية والتي أثرت فيما بعد على مؤلفاته من خلال اختلال الترابط فيما بينها ولمعرفة أهم التوجهات التي صاغت فكره لا يمكننا عبور مراحل مهمة في حياته والتي تتمثل فيما يلي:

1- **الكتاب المقدس:** لقد " تأثر القديس أوغسطين بمحتوى الكتاب المقدس والذي يحتوي بدوره على دراسة الفلسفة وبهذا نشأ حبه الكبير للفلسفة وكان متحمسا أشد الحماس لبلوغ الحقيقة اليقينية، فهو تناول الكتاب المقدس وهو في التاسعة عشرة من عمره فلم يجد فيه مبتغاه"[2].

2- **المانوية:** بعد ما اطلع القديس أوغسطين على الكتاب المقدس ولم يجد فيه الكفاية "انصرف إلى المانوية لأنه رأى أن هذا الدين يتحدث عن الحقيقة ويجعل الغاية من الوجود اكتشاف الحقيقة ومن ناحية أخرى بدأ له هذا المذهب عقليا لأنه يدعو إلى الحقيقة بصرف النظر عن كل سلطة كتابية أو دينية ثم أن هذا المذهب قد أرضى النزعة الحسية عند أوغسطين فقد كان حسيا ماديا وقد أراد أن يبرر هذه النزعة فوجد أن المانوية تؤمن بالمادة"[3].

---

[1] أوغسطين الاعترافات تر: زكريا إبراهيم ،مصدر سابق ص 115

[2] جونو وبجوان : تاريخ الفلسفة والعلم في أوربا الوسيطية ، تر :علي زيغور وعلي مقلد ،(مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر . بيروت ،دط.1993 . ص277

[3] عبد الرحمن بدوي . فلسفة العصور الوسطى .(وكالة المطبوعات ، دار القلم . ط3 .الكويت . بيروت . 1973 ص17.

إضافة إلى هذا نجد أن ماني* قال أن العالم هو تحت سيطرة قوتين هما الخير والشر وزعم أن العالم مصنوع من أصلين أحدهما النور والأخر الظلمة وأنهما أزليان وقد ذهب أصحاب هذه البدعة إلى القول أن ليس في وسع المرء أن يخلص من هاتين القوتين وبهذا وجد أوغسطين ما يبرر سلوكه الشهواني الفاجر فكان هذا المذهب كفيلا بإشباع حاجته المزدوجة والسعي وراء اليقين والركض من إشباع نفسه باللذة والشهوة الجسدية[1].

3- **الشكاك:** لقد مر القديس أوغسطين بصراع عنيف يتخلله بالداخل هذا ما دعاه يشك في كل شيء يعرفه من قبل هذا ما جعله يرجع للأكادمين الذين يعتبرون الشك مصدر لفلسفتهم، هذا من جهة ،من جهة أخرى أنه بعد أن اطلع على مؤلفات شيشرون الأخرى خطرت بباله أن يصبح هو أيضا من الفلاسفة الشكاك حيث قال في اعترافاته على السبب الذي أراد من خلاله أن يصبح من الفلاسفة الشكاك "**لقد تولدت لدي حينئذ قناعة مفادها أن فلاسفة الأكاديمية الجديدة هم الأكثر فطنة بين جميع الفلاسفة إذ يعتقدون أن كل شيء إنما هو موضوع للشك وأن إدراك حقيقة الأشياء أمر يتجاوز قدرة البشر**"[2]، على الرغم من أنه سرعان ما تخلى على هذه الفكرة إلا أنه لا يمكن إنكار تأثره بهذا المذهب وفي كتاباته دليل على ذلك.

4- **الأفلاطونية المحدثة:** بعد أن بدأ الشك يراوده في أفكار المانويين وتعاليمهم وبعد أن نجح في التغلب على أراء وأفكار رجال الأكاديمية الجديدة (الفلاسفة الشكاك) تعرف على تعاليم الأفلاطونية المحدثة والتي كانت بمثابة مساعد كبير في تقديم الحلول للعديد من المشكلات العقلية حيث وجد فيها ما يشبع نزعته العقلية للوصول إلى المعرفة كما أنها ساعدته في الاقتراب من الكنيسة المسيحية وفتحت له الطريق للاقتناع بالإيمان المسيحي مع

* ماني بن فاتك مؤسس المانوية في القرن 3 ق م، يرئ أن العالم يتكون من أصلين قديمين ، احدهما النور والأخر الظلمة (أنظر مراد وهبة ، المعجم الفلسفي ،دار قباء الحديثة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2007، ص 558.

[1] لوديي عبد السلام .مرجع سابق ص ص 5 6

[2] جاريث ماثيوز .مرجع سابق ، ص ص 33 34

العلم أن الأفلاطونية المحدثة لم تكن قادرة على إشباع جوعه ولم تنجح من الصراع في داخله بسبب المادة والروح، والذي كان سبب في منع روحه من تذوق طعم الراحة والسكينة[1].

5- **الإهتداء:** لقد ساهمت الأفلاطونية المحدثة بقدر كبير في هدايته وذلك من خلال أنه عند قرأته للأفلاطونية وهو في عمر الحادية والثلاثين إتجه إلى أكثر شيء يكرهه فورفوريوس* ألا وهو الكنيسة كما أظهرت له التعاليم الموجودة فيها[2].

من جهة أخرى أنه في فترة وجوده في ميلانو اقترب من الديانة المسيحية خاصة بعد سماعه لمواعظ القديس امبروزيوس أسقف المدينة خاصة عند تقديمه لتفسيرات حول الكتاب المقدس فتأثر به لكن لم يكن مقتنعا بصحة ما يقوله رجال الدين المسيحي وحدث ذات يوم بينما كان جالسا في حديقة منزله أن سمع نداء وكان هذا الأخير بمثابة دعوة للاهتداء فتحولت حياته واهتدى إلى السبيل القويم وتغيرت حياته رأسا على عقب فأعتنق الديانة المسيحية سنة 386 م وذلك بعد قيام أسقف المدينة بتعميده[3].

6_**تحوله الكامل إلى سلك الكهنوت** :بعد قيام القديس امبروز بتعميدة وبعد اعتناقه المسيحية عاد إلى تاغستا وهناك قام بتأسيس دير وقد تمت تسميته كاهنا في إقليم هيبو وبعدها بحوالي سنة أصبح مساعد للأسقف هيبو وقد امتازت تلك الفترة باهتمامه بدراسة الحكمة بهدف البحث عن الحقيقة لكنه لم يظل على هذه الحالة بل شهدت حياته تحولا تاما من "الفلسفة إلى اللاهوت فتحول من اهتمامات النخبة المنعزلة عن الناس إلى الاهتمام بالناس والدفاع عن المعتقدات التي يؤمن بها (إذ أصبح أوغسطين الأسقف يحيا ويعمل من أجل شعبه المسيحي أكثر مما يحيا ويفكر من أجل الفكر الفلسفي) وقد كانت بداية هذه

[1] لوديي عبد السلام : مرجع سابق ،ص ص 6-7

*يعتبر من أتباع المذهب الأفلاطوني ينتمي إلى أسرة وثنية ' يدعى ملخوس ولد في مدينة صور حوالي 233م (أنظر: ماهر عبد القادر محمد ، دراسات في فلسفة العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية ، دط ،مصر ، 2000 س 151

[2] هنري تشادويك : أوغسطينوس .تر : أحمد محمد الروبي ،(مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة . ط1، القاهرة ، مصر، 2016) ص 30

[3] فريدريك كوبلستون . (تاريخ الفلسفة من أوغسطين إلى دانز سكوت) تر إمام عبد الفتاح إمام وإسحاق عبيد ، المركز القومي للترجمة، ط1. القاهرة .مصر، 2010، ص ص 66 67.

الفترة 391وتنتهي بوفاته "[1]أي أنه في هذه المرحلة عمل على الاهتمام بالمسيحية والدفاع عنها والتصدي لكل الهرطقات الموجهة لها مما جلب الشعب إليه فذاع صيته .

المطلب الثالث: أثاره الفكرية

القديس أوغسطين كغيره من الفلاسفة ترك لنا أثارا لا تعد ولا تحصى حيث ألف أكثر من 230 كتابا باللاتينية بالإضافة إلى الرسائل والأطروحات

1- **ضد الفلاسفة الأكادميين:** "وضع هذا الكتاب لبحث مسألة اليقين كان هؤلاء يشكون بكل شيْ وقد تبنى القديس أوغسطين وجهة نظرهم إلى حد ما دون أن يمنحهم ثقته الكاملة ولاسيما روحه ونفسه، إذ أنه تعلق فقط بالقول بنزعته الاحتمالية والاحتمالانية المعتدلة وحتى هذا لم يدم لديه، إذ لم يلب أن تخلى عن المذهب"[2]

2- **الاعترافات:** "يعتبر كتاب الاعترافات من أعظم مؤلفات أوغسطين لأنه موجه إلى الله مباشرة، بوصفه توبة له من جميع الذنوب التي قام بها "حيث كتب فيه حوالي 400 م سيرة حياته ومساره الفكري، طريقه اهتدائه"[3]، وهو تحليل لتاريخه الروحي والفكري ورواية انقلابه إلى المسيحية وعلاقاته بأوساط الأفلاطونية المحدثة، وهو رواية لتحوله إلى المسيحية وعلاقاته بالأفلاطونية المحدثة كما حلل فيه طبيعة الإله الروحية والنفس البشرية بالإضافة إلى أنه درس مشكلة الشر ورأى أن الإله هو الحق ولا وجود لغيره لأنه لا يتحول ولا يتغير أما وجود الأشياء فهو مجرد وجود زائف وغير دائم وقد صرح فيه أوغسطين بأن الموجودات في عالم الفساد تكون صالحة في الجوهر مع أن الشر ملازم للمخلوقات باعتباره جزء من نظام الكون كما أعلن أن معرفة الذات لا تتم إلا من خلال الذاكرة الإنسانية[4].

[1] علي عبود المحمداوي(وأخ)، فلسفة التاريخ (جدل البداية والنهاية والعود الدائم)، دار الروافد للنشر والتوزيع ط1 بيروت 2012 ص 86
[2] علي زيغور : مرجع سابق . ص 108
[3] باور أحمد حاجي . مرجع سابق . ص 61
[4] عصام زكريا جميل . مصادر فلسفية ، دار المسيرة للنشر والتوزيع دط، عمان ، 2011،ص 69

3_محاورة المعلم: "المعلم من مجموعة المحاورات الفلسفية التي كتبها أوغسطين في أول عهده بالتفكير الفلسفي سنة 389 بعد أن قبل طقس العماد أخيرا على يد القديس امبرواز في ميلانو سنة 387 م ونزح إلى مسقط رأسه في إفريقيا عاكفا على نفسه ومؤسس أول دير إفريقي، ومحاور أوغسطين هو اديودات ابن خطيئته كما يسميه وهو من أوائل من انتسبوا إلى ديره كان عمره وقتئذ ستة عشرة عاما"[1]، وقد وضح في هذه المحاورة أن اللغة عاجزة على بلوغ الحقيقة، وقد استبدل اللغة بمنهج حدسي هذا الأخير هو بمثابة نور إلهي يؤدي إلى معرفه مباشر للحقائق وأن هذه المعرفة المباشرة هي لغة جديدة واستشراقية توصلنا إلى معرفة الإله في النظام الكوني المتكون من الأشياء والموجودات.

4- **كتب للرد على المانويين:** كتب للرد على المانويين لما عاد إلى وطنه وجه همه إلى مناهضة المبتدعة فكان من أثر ذلك كتاب "أخلاق الكنيسة الكاثوليكية وأخلاق المانويين وكذلك كتاب في سفر التكوين ردا على المانويين"[2]

5- **كتب للرد على بدع المسيحية:** نذكر منها (الرد على البلاجيين)، (الرد على الدوناتين) (الرد على رسالة بارمينيان)(الرد على رسالة باتيليون) (في المعبودية) كما (رد أيضا على الأريوسيين)[3]

6- **مدينة الله:** "(412_427) ألف أوغسطين هذا الكتاب إثر نهب روما سنه 410م، وقد حمل أوغسطين آلهة روما الوثنية أسباب الهزيمة ورآها مسؤولة عن هذه الكارثة فدرس تاريخ روما ومدح الأجداد العظام ثم حلل الانحطاط الذي أصابها وعزاه إلى فساد الحاكم الذي كان سبب تدمير المدينة، ورأى أن الشعب المحتار سوف ينتصر لأنه يفنى إلى الكنيسة الكونية التي أقامها المسيح، وميز أوغسطين بين المدينة الأرضية

---

[1] حسن حنفي حسين . نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط (أوغسطين . أنسلم . توما الإكويني . المكتبة الأنجلو مصرية . ط2. القاهرة 1978. ص 10

[2] يوسف كرم .:مرجع سابق ص 28

[3] علي زيغور : مرجع سابق . ص 108

التي تقوم على حب الذات الذي يقود إلى انتهاك حرمه الإله وبين المدينة السماوية التي يجب أن تقوم على حب الإله و احتقار الذات"[1]، أي أن الفكرة الأساسية التي تتحكم في هذا الكتاب هي الموازنة بين ما أطلق عليه مدينة ومدينة الشيطان وانطلق في التأسيس لذلك من خلال ما في الطبيعة الإنسانية من ميول ورغبات ومحبة وهذه المحبة بدورها تنقسم إلى قسمين محبة الذات ومحبة الله فالأولى أطلقها على المدينة التي ولد فيها ألا وهي المدينة الأرضية والثانية مدينة لله وهكذا نشأت مدينتان تعود إليهما كل المجتمعات البشرية.

7- **كتب عقائدية:** عديدة ومتنوعة نذكر منها: "في الثالوت" ألفه سنة (400_416) كذلك كتاب (العقيدة المسيحية) (مراسلات مع القديس جيروم) (مراسلات مع القديس بولينوس)... وغيرهم[2].

8- **كتب أخرى متفرقة:** من بينها رسالة في خلود النفس، مناجات في الطبيعة واللطف، في البدع، في الموسيقى، الإيمان والعقيدة، الحياة السعيدة، وغيرها من الكتب والرسائل والشروحات والمواعظ المختلفة[3].

---

[1] عصام زكريا جميل . المرجع سابق .ص69

[2] علي زيغور . المرجع سابق . ص 110

[3] عبد الرحمن بدوي . موسوعة الفلسفة ،ج1. المرجع سابق . ص 249

المبحث الثاني: طبيعة الاتجاه الفلسفي عند أوغسطين

المطلب الأول: طبيعة تحوله العقلي

بعد الاطلاع على الأفلاطونية المحدثة لم يبقى على أوغسطين للاعتناق المسيحية اعتناق تاما سوى أن يعتقد بأولوهية المسيح فقال أنهم عرفوه على الله ووجدوه في ذهن الإنسان كذلك عرفوه على طبيعته الروحية والكلمة الخالدة التي تنير وتشع كما نجد أن أوغسطين عبر عن حيرته من وجود كلمة لوغوس في الأقانيم الثلاثة الأفلاطونية ولقد وضع افتراض في العقيدة المسيحية يقوم على أن أفلاطون ربما يكون قد التقى بالنبي في مصر لكنه سرعان ما تخلى عن هذه الفوضوية التي شغلته[1]،"كما أعجب بنظرتهم الجمالية للكون (مفهوم الشر) إلا أنه عدل فيها وأتقنها وهو الأمر نفسه الذي فعله بمفهوم الوحي"[2] من خلال إضافته لبعض الأفكار الخاصة به .

الأهم أن أوغسطين تقبل كل الأفكار الأفلاطونية ذلك بقلب مسيحي مرتبط ارتباط وثيق بالكنيسة، وكانت لديه رغبة كبيرة في أن يعيش إيمانه وهذا واضح جدا في تتابع الأحداث التي عاشها ولعل أبرزها تعرفه على القديس أمبروز وتأثره بمواعظه كذلك تسجيله في عداد تعلم العقيدة المسيحية إضافة إلى قراءته لأفلوطين، كل هذا دليل كافي على إثبات تحوله للمسيحية قبل وعلى الرغم من أنه لم يبقى كثيرا في المحطة الأفلاطونية ولم يقرأ إلا كتب قليلة منها إلا أنها شجعته وبثت فيه الحماس والرغبة كما وجد فيها متعة فكرية ساعدته في الاطلاع على الكتاب المقدس والذي وجد فيه النعمة والتواضع وفتح أمامه الطريق للفهم.

في هذا الجدل الواضح تمكن أوغسطين من أن يرتقي نحو العقل التام كما ساعدته الأفلاطونية في ذلك "هكذا اتسمت التيولوجيا الأوغسطينية بالتيار المثالي والتفكيري"[3] ومن

---

[1] علي زيغور ، مرجع سابق ص 137
[2] المرجع نفسه ص 138
[3] المرجع نفسه ص 138

هنا أصبح تفكير أوغسطين تفكير فيلسوف في تجربة مسيحي وذلك من خلال إعمال العقل الفلسفي في العقيدة "يقول كومبيس أن تحوله الأخلاقي (التحول إلى الإيمان) هو الذي أتى بعد وتأخر، فقد جاء هذا متأخرا عن التحول الفكري وكان أصعب"[1]، ذلك نتيجة للصراع القائم بين شهواته وعقله لكن استطاع الاستسلام والتواضع إمام المسيح وبذلك فقد تخلى على تعليم الجذابة والزهد الدنيوي كما رفض الزواج وضحى بحياته في سبيل خدمة الله والمسيحية ومنذ المشهد الذي حصل له في حديقة بيته أصبح أوغسطين مسيحيا بالقلب والإرادة بعد ما كان مسيحيا بالعقل والفكر.

[1] علي زيغور : المرجع نفسه ص 139

المطلب الثاني: السمات العامة لفلسفة أوغسطين

قبل التحدث عن منهجه نرى من الأفضل أن نعرض ملامح فلسفته بوجه عام لأن ذلك من شأنه أن يوضح لنا الكثير من جوانب هاته الفلسفة والتي يمكن حصرها في النقاط التالية: لا يمكن تقويم فلسفته تقويما علميا بمعزل عن تفكره اللاهوتي حيث كانت الفلسفة المسيحية هي الفلسفة الحقة أما المدارس الوثنية للفلسفة ما هي إلا مجرد مذاهب لاهوتية زائفة.

عند التمعن في فلسفته نجدها مستمدة من تجربته الحية و واقعه المعاش وهذا راجع إلى طبيعة الفلسفة في العصور الوسطى التي كانت تهتم بالعمل والخلاص لهذا كان الهدف الرئيسي الذي سعى له أوغسطين هو البحث عن السعادة .والسعادة التي سعى دوما لها وحاول الوصول إليها هي السعادة نحو الله[1]، وقد عرف السعادة بقوله "الاستمتاع بالحقيقة"[2].

يؤكد أوغسطين أن الفلاسفة في محاولتهم للوصول إلى الحقيقة والبحث عن السعادة لم يصلوا إليها كاملة بل توصل والى جزء فقط معتقدين أنهم نالوها وتوصلوا إليها ومن هنا بدأ العقل في الوقوع في الأخطاء وعليه فالعقل وحده غير كفيل للوصول إلى الحقيقة المطلقة بل لابد من وجود مساعد يكشف له الطريق، والمسيحية بنعمها المعطاة لنا في الكتاب المقدس وحدها قادة على ذلك باعتبارها مصدرا للحكمة الكاملة، فهي تقدم لنا الله في أعظم صورة ولهذا اعتبر أوغسطين أن الإيمان سابق عن العقل، وان كان هذا الأخير ينشد الإيمان باعتباره هو الحق والعقل، والعقل يسعى إلى الحق بهدف تعقله وعليه فالإيمان عنده هو قبول عقلي لحقائق الدين، هذا معناه أن أوغسطين يرى أن العقل يسبق الإيمان لكن الأولوية ليست له ولا يمكن للإيمان أن ينقد العقل كون الإيمان لن يوجد ويستقر في غياب العقل لان

[1] كامل محمد محمد عويضة ،أوغسطين فيلسوف العصور الوسطى دار الكتب العلمية ط1 بيروت لبنان ،1993 ص ص 35_36

[2] فؤاد كامل (وأخ) ، الموسوعة الفلسفية المختصرة ، مر: زكي نجيب محمود ،در القلم ،بيروت .لبنان ،(دت) ، ص 88

البحث عن اليقين بل البحث عن السعادة والحق يتم من خلال العقل أولا ومن هنا كانت الأولوية للعقل أولا لكن هذه الأولوية ليست مطلقة فهي على المستوى الفردي فقط، من جهة أخرى نجد الإيمان سابق عن العقل والسبب في ذلك وجود العديد من القضايا الإيمانية يعجز العقل عن تفسيرها والبرهنة عليها بمعنى أخر هناك قضايا بمقدور الإنسان الاستدلال عليها ومعرفة صدقها من كذبها وأخرى يجد المرء نفسه عاجز عن فهمها والبرهنة عليها[1].

يقدم أوغسطين الإيمان (النقل) على المعرفة (العقل) وهذا معناه أنه لن تكون هناك معرفة حقيقة ما لم يسبقها الإيمان فهو يعتبر أن الإيمان هو نقطة بداية لنمو المعرفة وهو البداية الرئيسية لبلوغ الحقيقة وعليه فالإنسان لا يفهم ليؤمن و إنما يؤمن ليفهم أي البحث عن المعرفة لا يوصل لإيمان بل يبعدنا عن الحقيقة لذا وجب علينا الترتيب الذي يبدأ من الإيمان ليصل إلى الحقيقة هكذا فالإيمان عند أوغسطين سابق عن العقل أي في غياب الإيمان لن يكون هناك قوة تمكن العقل من أدراك الموضوعات وهذا راجع الى وظيفة الإيمان التي تتمثل في تغذية العقل من أجل أداء وظيفته التي تتمثل في بلوغ السعادة، ومع ذلك فهو يعتبر أن الإيمان أدنى من العقل والسبب في ذلك هو أن الإيمان هو عبارة عن موافقة وتسليم أعمى عكس العقل الذي يؤمن بالشواهد والبراهين وعليه فالإيمان بحاجة إلى العقل لان وظيفته هي محاولة فهم ما يؤمن به الإنسان لذا دعا إلى دراسة كل أنواع المعارف والعلوم وفهمها لأنها تعمل على مساعدة المسيحيين على فهم ما يؤمنون به وبالتالي جعل إيمانهم قوي قائم على الحجج والبراهين[2].

على الرغم من هذا نجد أن"أوغسطين مع علمه بأن العقل والإيمان متمايزان بالذات لم يضع مبدأ يكفل استبقاء هذا التمايز ولكنه جمع بينها في حكمة كلية تظهرنا على حقيقة

---

[1] كامل محمد محمد عويضة ، المرجع سابق ص 37
[2] ماهر عبد القادر محمد : المرجع سابق .ص ص 242 _343

الوجود وتدلنا على غايته الحقة وتمدنا بالوسائل للبلوغ إليها هي المسيحية إذن أمن كي تتعقل"[1].

المطلب الثالث: منهجه

نظرا للجو الفكري والظروف السائدة في عصره كانت هناك حاجة إلى سلطة الكنيسة تعمل على إعادة بناء النظام ووضع حد لحالة الفوضى التي عمت نتيجة فساد الدولة وضعف السلطة هذا من جهة، وضعف الفكر الفلسفي اليوناني الذي أدى إلى ظهور فلسفة الشك من جهة أخرى، وقد رأى القديس أوغسطين أن سلطة الكنيسة وحدها قادرة على تقديم الحلول وأنه كفيلسوف مسيحي بمقدوره أن يصوغ مذهب صالح بأن يكون عقيدة.

يقوم منهجه هذا بصفة عامة على فكرة أساسية مفادها أن السبيل الوحيد للسعادة والنجاة هو الدين لا الفلسفة كون هذه الأخيرة لا تتجاوز مرحلة المعرفة النظرية في محولتها للوصول إلى الله وبلوغ السعادة وهذا ما سبقه إليه القديس **جوستين***، في حين أن الإيمان الديني يجعل المؤمن قادر على التوصل إلى الله وذلك من خلال التجربة الروحية والوجدانية القائمة على الاعتقاد والشعور والإرادة هذا معناه أنه إذا أراد الإنسان بلوغ السعادة وجب عليه الإيمان و إذا استطاع بلوغها فقد بلغ الله لأنه هو وحده الكامل والثابت.

يقوم منهجه أيضا على فكرة مفادها أن الإيمان شرط للفهم وهذا الأخير هو شرط للإيمان والمقصود بالإيمان هنا هو تجاوز موقف الرفض القائم على الشك وإعداد النفس لتقبل ما تقوم الشواهد على صدقه ولا تصدق كل ما يقال[2].

[1] يوسف كرم .المرجع السابق ص 31

*اسمه الكامل جوستين مارتير ، يعتبر من أول المدافعين عن المسيحية ولد من أبوين وثنيين في مدينة فلافيا بنابلس ، درس الفلسفة بهدف البحث عن الحقيقة ، إعتنق المسيحية حوالي عام 130م، أشهر مؤلفاته " حوار مع تريفون ".(أنظر ماهر عبد القادر محمد ، المرجع سابق ص 283)

[2] كامل محمد محمد عويضة .. المرجع سابق ص ص 48 _ 49

السعي نحو السعادة هو سعي نحو الله الذي من صفاته الوحدة وعدم التغير والديمومة والمسيحية وحدها قادرة إيصالنا إلى الله لما تحمله من نعم وأسرار في الكتاب المقدس ولتحقيق هذا يجب الإيمان بهذه الأسرار والعمل بها، والإيمان حسب رأيه هو قبول عقلي للحقائق سواء كانت هذه الحقائق مدركم بذاتها أم مؤيدة بشهادة شهود جديرين بالثقة والمعجزات همة العقل في الإيمان مزدوجة قبل الإيمان وبعدة، فقبل الإيمان تتمثل في الاقتناع بوجوب الإيمان وليس بموضوعه وبعد الإيمان تتمثل في تفهم حقائق العقائد الدينية (تعقل كي تؤمن) وهذا التعقل مستويات فهناك قضايا طبيعية قابلة للبرهان كوجود الله وصفاته والنفس وروحانيتها، وهناك ما فوق الطبيعة ودور العقل فيه هو تبرير المجالات الظاهرية وإحالة الموضوع شبه معقول بالصور والأمثلة الطبيعية[1].

ويرى أن الحكمة هي التي تهبنا المعرفة (الحقيقة) وعليه فطلب الحقيقة هو طلب للحكمة ومن أهم المشكلات التي شغلت فكره هي الطريقة التي من خلالها يستطيع الإنسان أن ينتقل من كونه غير حكيم إلى أن يكون حكيما فلكي يتم له هذا الانتقال عليه أن يرغب في الحكمة التي يفتقر إليها لكن هذه الرغبة تتضمن العلم بالشيء المرغوب فيه وقد كان تحوله الى المسيحية هو اكتشافه للحكمة عن طريق الإيمان وبداية استقصائها عن طريق التعقل وقد خلص نفسه بالجدل من طريق الشك[2].

كما أنه اعتمد على ما يسمى بالكوجيتو الأوغسطيني وهو "إذا كنت مخطئا فأنا موجود"[3]، لكن منهجه كان مختلفا تماما عن المنهج الديكارتي والذي يمكننا أن نسميه بمنهج لأيمان المنظم حيث كان من بين نصوصه المميزة ذلك النص القائل "لا سبيل للفهم من غير الإيمان"[4]، أي لا إيمان دون فهم ولا فهم دون إيمان.

---

[1] يوسف كرم ،المرجع سابق ص 29 30
[2] فؤاد كامل (وأخ)، المرجع سابق ص 88
[3]المرجع نفسه ص 89
[4] المرجع نفسه الصفحة نفسها

وعليه فالإيمان عند أوغسطين لا يلغي العقل ولا يمنعه من الفحص ضمن دائرته مدام الاعتقاد إيمانا يوجد في العقل وهناك حقائق إيمانية مقبولة عقليا وهناك حقائق غير مقبولة وعلى هذا الأساس قال أفهم كي أتعقل وقد قصد بهذه الفكرة إخضاع كل الحقائق الإيمانية لميزان العقل ومن هنا يمكننا القول أن أوغسطين يمثل البداية والنضج للفلسفة.

خلاصـــــــــــــــــــة:

من خلال ما سبق يمكننا القول أن القديس أوغسطين هو أحد الشخصيات المؤثرة في المسيحية الغربية كما يمكننا القول أن بحث أوغسطين عن الحقيقة ومحبته للحكمة دفعه للبحث في كل المذاهب الفلسفية والعقائد الدينية حيث نجده قد تنقل من المانوية إلى المذهب الشكي وصولا إلى الأفلاطونية المحدثة وغيرها من التيارات الفكرية المختلفة لكن كلها لم تروي عطشه ليبحث عن بديل أخر فوجد نفسه في النهاية في نقطة الصفر المتمثلة في الديانة المسيحية لتتحقق بذلك أمه مونيكا والتي ظلت سنوات تتضرع إلي الله من أجل تحقيقها كما أن هذه الرحلة لعبت دورا هاما في حياته الفكرية حيث شكلت إسهاماته المعرفية خاصة كتاب "مدينة الله "وكتاب" الاعترافات " حلقات مضيئة في التراث المسيحي بصفة خاصة والتراث العالمي بصفة عامة .ومهما يكن فنه يمكننا القول أن أوغسطين قد جند نفسه عن اقتناع عميق وبكل إخلاص دفاعا عن المسيحية وأنه لم يكتف بذلك فحسب بل أعطي روحا جديدة للمسيحية، وعند النظر لفلسفته نجدها فلسفة الحياة بمعنى الكلمة لأنه اهتم بالوجود الإنساني والتجارب الشخصية التي تسعى وراء السعادة الأبدية فهي حالة من القلق الروحي والفكري حول معنى الإنسان وغايته في الوجود لأنه عبر عن حياته في كتابه الاعترافات وشغل موضوع الذات حيز كبير من تفكيره وتوصل إلى أن كل ما يجب أن يبحث عنه الإنسان هو الوصول إلى السعادة الأبدية ،أما من ناحية المنهج فإننا نجده قد تعرض إلى مشكلة هامة وهي العقل والنقل فهو يرى أن العقل لا يمكن أن يستقل بذاته للإدراك الحقيقة المطلقة، بل لابد من سلطة أخرى مساعدة وهي سلطة الكتاب المقدس فالإيمان ضروري للتعقل كما أن العقل ضروري للإيمان ولهذا قال "أمن كي تتعقل".

الفصل الثاني: المشكلة الأخلاقية

وجوهر الخير والشر عند أوغسطين

الفصل الثاني : المشكلة الأخلاقية وجوهر الخير والشر عند القديس أوغسطين

المبحث الأول: الخطيئة وأصل الشر

المبحث الثاني: مشكلة الخير عند أوغسطين

الفصل الثاني: المشكلة الأخلاقية وجوهر الخير والشر عند القديس أوغسطين

لقد أثار القديس أوغسطين في كتبه العديد من الإشكاليات التي تتصدى لها فلسفة اليوم بالبحث والدراسة، باعتباره فيلسوفا ولاهوتيا، ومن بين هذه الإشكاليات نجد المشكلة الأخلاقية التي اهتم بها قبل اهتدائه لهذا نجد الفكر الأخلاقي عنده فكرا متشعبا تشعب مصادره المعرفية ومرجعياته الدينية حيث نجده قد تطرق إلى أهم المسائل الأخلاقية.

وفي هذا الفصل سوف نحاول التركيز على أبرز العناصر المعرفية المكونة لفكره الأخلاقي محاولين بذلك الإجابة على جملة من الأسئلة والتي يمكن حصرها فيما يلي: فيما يتمثل جوهر الخير والشر عند القديس أوغسطين؟ ما هو تفسير القديس أوغسطين للخطيئة؟ وكيف وقع آدم فيها؟ وما هي نتائجها على البشرية؟ ما هو تفسيره للأصل الشرور في العالم؟ وكيف نظر لفكرة الخير؟ وما هو مفهوم الفضيلة عنده؟ ونختم أسئلتنا بسؤال رئيسي ما هي أهم الفضائل عنده؟

المبحث الأول: الخطيئة وأصل الشر

المطلب الأول: الخطيئة

لقد أجمعت كل الكتب السماوية والتاريخية أن أول خطيئة عرفها العالم هي خطيئة الكبرياء والغرور، إنها الخطيئة التي سقط بها إبليس حينما قال: "أصعد إلى السماوات أرفع كرسيي فوق كواكب الله وأجلس على جبل الاجتماع في أقاصي الشمال أصعد فوق مرتفعات السحاب أصير مثل العلي"[1].

وقد وقع فيها نتيجة تكبره وغروره لما يملكه من مال وجاه وسلطة، وقد ورد أن "إبليس قد جعله الله على ملك الدنيا وكان من قبيلة الملائكة يقال لهم الجن وإنما سموا الجن لأنهم خزنة الجنة وكان إبليس مع ملكه خازنا فوقع في صدره إنما أعطاني الله هذه المزية لي على الملائكة "[2].

هذا الكبر والغرور دفع إبليس لإنكار وجود الله، ثم السخرية من الذات الإلهية وأحكام الدين من أجل إرضاء نفسه المريضة ودعا من كان تحت يده إلى عبوديته، ونتيجة لما في قلبه من مكر وحيلة "مسخه شيطانا رجيما وشوه خلقه وسلبه مكان حوله ولعنه وطرده من السماوات في العاجل "[3] هذه نهاية إبليس.

بسبب خطيئة الكبرياء ورغبته أن يصير هو الله سقط من السماء وهذا ما نجده في قول الرب العلي المذكور في إشعياء "كيف سقطت من السماء يا زهرة بنت

[1] الكتاب المقدس : (أشعياء 14 : 13_14)
[2] أبو الفداء الحافظ ابن كثير : البداية والنهاية .مكتبة المعارف. (دط). ج1 ،بيروت ، 1990 ص 55.
[3] أبو الحسن علي ابن محمد ابن الأثير . الكامل في التاريخ . تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي . (دار الكتب العلمية،ط1،ج1،بيروت،1987) ص 23

الصبح؟ كيف قطعت إلى الأرض يا قاهر الأمم؟ لكنك انحدرت إلى الهاوية إلى أسفل الجب"[1].

هكذا وقعت أول خطيئة في الكون، فالكبر والغرور هما الأخطر، وهما الخطيئة التي لا تغفر، فإبليس طمع في أكثر مما يملك، كما طمع في مشاركة الله في الملك والعبادة فكانت عاقبته الطرد من الأعلى ليجد نفسه في الأرض، لكن الخطيئة التي نحن بصدد معالجتها ومعرفتها هي الخطيئة البشرية الأولى التي وقع فيها آدم، فكيف وقعت وكيف حورب بها الإنسان الأول وتحملت وزرها بقية الأجيال اللاحقة ؟

لقد ذكرت الخطيئة الأولى في الكتاب المقدس وبالتحديد في سفر التكوين، حيث بدأت هذه القصة بخلق الله آدم في جنته ونهاه عن الأكل من أحد أشجارها وهذا ما ورد في الكتاب المقدس "وأوصى الرب الإله آدم قائلا: من جميع شجر الجنة تأكل أكلا وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتا تموت"[2]، هذه بداية الكتاب المقدس "شجرة الحياة التي جعلها الله لخلاص الإنسان من الموت لو لم يخطئ، وشجرة معرفة الخير والشر التي جعلت للامتحان مقدار ولاء الإنسان لله"[3].

إذن هذه الشجرة كانت للاختبار الإنسان الأول، كما روي لنا كيف تم خداع حواء وزوجها آدم من طرف الحية" وكانت الحية أحيل جميع الحيوانات البرية التي عملها الله فقالت للمرآة أحقا قال الله لا تأكل من كل شجر الجنة؟ فقالت المرأة للحية

---

[1] الكتاب المقدس (إشعياء 14: 13_14)
[2] الكتاب المقدس . سفر التكوين (2 :16_17)
[3] كلاير تارنر : هذه عقائدنا (المنشورات المعمدانية .دط، بيروت ، 1972) .ص 46

من ثمر شجرة الجنة نأكل وأما من ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا"[1].

"فرأت المرآة أن الشجرة جيدة للأكل، وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضا معها فأكل"[2]، هكذا تمرد آدم وحواء ضد الله وضد وصياه، وأكلا من الشجرة معتقدين أنهم سوف يصبحون مثل الله يعرفون الخير كما يعرفون الشر ومنذ ذلك الوقت أصبحت الخطيئة متوارثة عبر الأجيال البشرية، وأصبح جميع الناس فاسدون.

كما بين العهد القديم أن الخطايا ليست محصورة في الخطايا عن اللسان أو اليد أو الرجل بل جعل المحرك الأساسي لها هو القلب وهذا واضح في سفر الأمثال "فوق كل تحفظ احفظ قلبك لأنه مخارج الحياة"[3]، باعتباره مسؤول عما ينتج منه.

كما وضح العهد القديم أنه بإمكان الإنسان أن يكفر عن خطاياه فتغفر له وهذا ما ورد "فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التي فعلها وحفظ كل فرائضي وفعل حقا وعدل فحياة يحيا لا يموت"[4]، وذلك من خلال الالتزام بأوامر الله وطاعته وهذا ما ورد في سفر خزقيال.

أما العهد الجديد: فقد اعتبر أن الخطيئة هي التعدي على شريعة الله وأحكامه فهي إذن أن يتعد الإنسان عن الطريق المؤدي إلى الله "فمن خلال آدم دخلت الخطيئة العالم وأصبح الموت مصير كل إنسان لأن أجرة الخطيئة هي موت"[5] وكل العالم حسبه راح ضحية خطيئة واحدة وهي خطيئة آدم، كما نجد ذلك واضح أيضا

---

[1] الكتاب المقدس سفر التكوين (3: 1_2)
[2] الكتاب المقدس. سفر التكوين (6:3)
[3] الكتاب المقدس . سفر الأمثال (23:4)
[4] الكتاب المقدس. سفر خزقيال (21:18)
[5] الكتاب المقدس . سفر رومية (23:6)

في ما قاله الرسول بوليس "من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطا الجميع"[1].

كما ورد في رسالة يوحنا الأولى "كل من يفعل الخطيئة يفعل التعدي والخطية هي التعدي"[2] وعليه فالجميع مخطئون لأنهم نتيجة ثمرة الخطيئة بفعل التعدي على حدود الله، هذا من ناحية المرجعية الدينية، أما من ناحية المرجعية الفكرية والفلسفية فإننا نجد أنه حظي مفهوم الخطيئة في فكر أوغسطين أولوية كبيرة وطرحا عميقا انطلاقا من رؤيته الأنطولوجية واللاهوتية وذلك راجع إلى عالم تملأه الشرور ولصيرورة المعصية والخطاء في هذا الوجود.

اعتمد القديس أوغسطين في تفسيره لمفهوم الخطيئة الأصلية على الكتاب المقدس (العهد القديم) سفر التكوين الفصل الثالث وكذلك على رسالة بوليس الذي "يبتدئ تفكيره من نظرته إلى الموت باعتباره عقابا على الخطيئة وبما أن الموت هو عاقبة كل البشر وهو العدو الأول فان ذلك يتسع بالضرورة أننا جميعا خاطئون وقد ورثنا هذه الخطيئة من آدم"[3]، فمن هذا المنطلق عالج أوغسطين موضوع الخطيئة ويمكن أن نقول أن فكره حول الخطيئة قد ارتبط ارتباطا وثيقا بفكر البلاجيين ذلك أن فكرة الخطيئة عنده إنما هو نتاج تصدي للفكر البيلاجي حول الخطيئة ورفضه لهرطقتهم "قاوم أوغسطين بقوة وحماس كبير الزنادقة والبدع والهرطقات العديدة والمذاهب الفلسفية والدينية مثل الأكاديمية والمانوية التي سبق أن انبهر ببريقها طويلا"[4]، ويمكن تلخيص هرطقاتهم فيما يلي: "أن خطيئة آدم كانت قاصرة على نفسه ولم تتعداها إلى أحد من نسله...، أن كل إنسان حين يلد يكون بمثابة، آدم

---

[1] الكتاب المقدس سفر رومية (12:5)
[2] الكتاب المقدس . يوحنا الأولى (4:3)
[3] فراس السواح . ألغاز الإنجيل .(دار التكوين للتأليف والتوزيع والنشر.ط.2.،دمشق .سوريا 2012).ص 357.
[4] لوديي عبد السلام . مرجع سابق .ص9

حين خلق وقبل أن يخطئ ...، أن كل إنسان يمكن وبمجرد قوته الضعيفة وحريته المطلقة أن يبلغ أسمى درجة من القداسة من غير افتقار إلى مساعدة النعمة الإلهية"[1].

كما نجد أن أوغسطين قد أكد لهم في كتابه انه "بعد نفي (آدم) من هذا المكان (الجنة) بعد خطيئة فرض (الله) عليه وعلى ذريته التي لوث بذورها بالرذيلة عقوبة الموت...، وهكذا فان كل إنسان ينحدر منه ومن زوجته الملعونة بدورها لأنها كانت أداة خطيئة...، ستلحق بها الخطيئة الأصلية"[2] فالخطيئة الأولى التي حرمت آدم من النعمة الإلهية ومن الخلود فيها تلك النعمة التي وهبها الله ومَنٌ بها على خلقه أي أنه يرى أن آدم هو الأب الأول للبشرية ولأنه أول إنسان خلقه الله على وجه الأرض فهو يتحمل مسؤوليتها حيث كان أول إنسان يرتكب الخطيئة والمعصية (عصيان أوامر الله) وهذا ما ورد في قوله "وانتقل الموت ووزر الخطيئة إلينا، صرنا كتلة من غضب وإثم"[3]، وبسبب خصائصه المميزة له في الفردوس فإن الأجيال اللاحقة ورثت الخطيئة منه.

كما "علل ذلك بأن الخطيئة الأولى مختلفة عن سائر الأخطاء التي يمكن للجنس البشري أن يرتكبها من حيث أنها ليست من قبيل الأفعال التي تنسب لصاحبها فحسب وإلا نسبت لآدم دون غيره من أبناء ذريته وبسبب خطيئة آدم أصبح كل الجنس البشري يعاني في الحياة الدنيا من الجهل والعبودية والشهوة و ضعف الإرادة، إلا أن رحمة الله بالإنسانية وحبا لها تجسد في المسيح ليفديها ويخلصها من

[1] محمد إبراهيم تركي .مدخل إلى الفلسفة المسيحية في أوربا في العصر الوسيط . (دار الكتب القانونية .دط. دت،دب).ص 159

[2] زينب محمود الخضيري. لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين .(دار قباء، دط. القاهرة.1997) ص ص83 84

[3] أوغسطين . خواطر فيلسوف في الحياة الروحية . تر: الخوري يوحنا الحلو . (دار المشرق ،ط7. بيروت . لبنان . 2004) ص ص 143. 144

خطيئتها الأصلية"[1] وعلى الرغم من تحمل بقية الأجيال وزر هذه الخطيئة إلا أن حب الله لعباده ورحمته لهم سوف يرسل لهم المسيح ليفديهم و يخلصهم من شرورهم.

وعليه فان أوغسطين يرى "البشر قبل ولادتهم لم تكن لهم حياة ولم يفعلوا خيرا أو شرا ولم يلجوا خضم مآسي الحياة الحاضرة لأنهم استحقوا ذلك في حياة سابقة ما داموا لم يلجوا تلك الحياة ولكن لأنهم أبناء آدم بالجسد فقد وصموا بدنس الخطيئة التي تؤدي إلى الموت"[2] سبب الخطيئة هو آدم وتوارثت عبر الأجيال من بعده.

انطلاقا من تجربة أوغسطين الشخصية في الحياة قبل إيمانه بالمسيح فهو يرى أن تاريخ البشرية مر بأربعة مراحل وهذه المراحل قد انقضت منها ثلاثة مراحل بينما المرحلة الأخيرة مازلت الإنسانية تنتظرها ومضمون هذه المراحل أن الأولى هي تلك الفترة التي انتشرت فيها أعمال الرسل وهي مرحلة يحيا فيها الجسد أما المرحلة الثانية فقد بدأت بنزول الشريعة اليهودية وعرف فيها الإنسان الأول الخطيئة أما بالنسبة للمرحلة الثالثة ففيها بدأ المسيح بالتجسد والظهور، ليليها أخر مرحلة وهي التي تنتهي بسلام النفس وذلك بعد انتهاء الحياة على الأرض، من خلال هذا نجد أن أوغسطين يرى أنه لن ينجو من الخطيئة إلا من أنعم الله عليه بلطفه واختاره فحسب وهؤلاء هم فقط من يتمكنون في النهاية من الصعود إلى المدينة السماوية[3].

انطلاقا من إطلاعه على رسائل بوليس كما سبق ذكرها في العهدين القديم والجديد للخطيئة البشرية الأولى فهو يرى أن الاعتراف بالخطيئة هو بداية التكفير عن الذنوب والغفران حيث يقول "إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل وحتى يغفر لنا

---

[1] زينب محمود الخضيري ، مرجع سابق ،ص 84

[2] هنري إيرينيه مارو: القديس أوغسطين و الأوغسطينية . تر: سعدالله سميح جحا .(دار دمشق . ط1،بيروت،2007 .ص77

[3] زينب محمود الخضيري، مرجع سابق ص85

خطايانا ويطهرنا من كل إثم"[1] فالله برحمته الواسعة سوف يكفر لهم عن خطاياهم شرط الاعتراف بها.

وقد وضح أوغسطين أن الإنسان الأول بعد الخطيئة حكم عليه بالموت حيث يقول "كما يموت الجسد عندما تفارق النفس، كذلك تموت النفس عندما تنفصل عن الله ولكن هناك فرق بين موت الجسد وموت النفس، فموت الجسد محتوم أما موت النفس اختياري إذا ميت مهما ظن أنه حي وأنه يتمتع بالحياة"[2]، ويوضح أوغسطين فكرته عن الخطيئة أكثر فيقول "ما كان الله ليجهل أن الإنسان سوف يخطأ وتحت نير الخطيئة يلد بشر الموت يحملون للأبد هول الإثم (...) سوف يتمتع مع الملائكة بالسلام إلى الأبد"[3]، وعليه فالخطيئة الأولى عند أوغسطين ليست عادية وإنما هي تمرد عن أوامر الله وعصيان لها لأنها وقعت بسبب تمرد الإنسان الأول على الله ليقع في الإثم والمعصية بإرادته فعوقب هذا الإنسان وأنزله الله إلى الأرض ملعونا بعد أن كان في نعيم الجنة يتمتع بالخيرات التي رزقها الله له وعليه فهو قد تحول من المدينة السماوية مدينة النعم والخيرات إلى مدينة الأرضية مدينة الشرور والمتاعب، مدينة المعاصي و الآثام.

أما بالنسبة لقضية الحساب والعقاب فيرى أوغسطين أنها تبقى للحياة الأخرى فالله هو المسؤول عليها من خلال إرسال الله للسيد المسيح هذا الخير هو المسؤول على تخليص البشرية من خلال محاسبة الأشرار وتخلص الأبرار.

بناء على ما سبق نطرح التساؤل التالي: من أين استمد أوغسطين فكرة الشر؟ وكيف فسر وجودها في العالم؟

---

[1] ،أوغسطين .عظات على رسالة يوحنا الأولى ، تر: بنيامين مرجان ، تق : الأنبا موسى.(دط. دت. دب). ص9
[2] كراس المحرقي . شوكة الخطيئة ، (شركة الطباعة المصرية .ط5.مصر .دت، ص 17)
[3] أوغسطين. مدينة الله . تر: الخوري يوحنا الحلو .(دار المشرق .ط2.ج2 ،بيروت،2007، ص 99

المطلب الثاني: أصل الشر

لقد شغلت مشكلة الشر أوغسطين بل سيطرت على تفكيره تماما نظرا لأنه علم الشر ومر به عمليا طوال حياته السابقة عن اهتدائه واعتناقه المسيحية ولعل حيرته في تفسير أصل الشر في العالم كانت من أهم الأسباب التي دفعته إلى الانضمام إلى نحلة المانوية وهي جماعة يؤمن أتباعها بأن العالم قد خلق وفق مبدأين أساسين يتنازعان منذ الأزل وهما مبدأ الظلام (الشر) ومبدأ النور (الخير).

لكن بعد اعتناقه المسيحية حاول البحث عن تفسير لوجود الشر في العالم والسبب الذي دفع الإنسان للقيام به، ولإيجاد حل لهذه المشكلة انطلق من فكرة بديهية مفادها أن الله خير وهو لا يتغير وبالتالي لا يفعل الشر فكيف وجد الشر في هذا العالم؟.

ليس غريبا بعد تلك الحياة المليئة بالخطايا والآثام التي عاشها أن يعتقد أن الخطيئة هي أهم شواغل الإنسان، وأن تظل مشكلة الشر المشكلة المحورية عنده والواقع أنه بحث عن تفسير لها في جميع الفلسفات قبل أن يهتدي إلى تفسيره الخاص[1].

ففي بداية الأمر تبنى فكرة أفلاطون ثم فكرة الأفلاطونية المحدثة التي ترى أن المادة والجسد هما مصدر الشر في العالم لكن سرعان ما رفض هذا التفسير لأنه يتناقض مع قول الكتاب المقدس أن كل ما خلقه الله فهو حسن وعليه فإذا كانت المادة من خلق الله فلابد أن تكون خيرة وليست شريرة وبالتالي فهي ليست مصدر للشر.

---

[1] عصام زكريا جميل .مرجع سابق ص 93

بعد ذلك اعتنق المانوية التي بدورها أعطت للشر تفسير بسيط من خلال قولها بوجود إلهين اله الخير طيب وجميل واله الشر يعود له كل سيء في العالم، والصراع بينهما سوف ينتهي في أخر الدهر بفوز إله الخير وقد ظل تسعة سنوات معتنقا المانوية، وفد وجد أن من طبيعة الوجود عندهم أن تود الظلمة إلى جانب النور فمهما متلازمان وعليه فالشر ضروري في حياة الإنسان وهذا ما يبرر وجود الشر في العالم، غير أن أوغسطين في ذلك الوقت كان يستمع لعظات القديس امبروز والتي كانت في معظمها تدور حول شرح الكتاب المقدس والرد على المانويين وغيرهم من المبتدعة فوجد أن الكاثوليك* أكثر عرضا ودفاعا عن الكتاب فتراخت علاقته بالمانويين خاصة في فكرة وجود إلهين والتي تتعارض مع الكتاب المقدس[1]، خاصة في الفكرة القائلة "إن أول كل الوصايا هي اسمع يا بني إسرائيل: الرب إلهنا اله واحد"[2]، من هنا قطع صلته بالمانويين.

بعد أن قطع صلته بالمانويين لم يكن يعرف أين يتجه فبدأ يطرح العديد من التساؤلات في ذهنه، كيف يمكن تفسير وجود الشر في العالم؟ ولو افترضنا أن الله لا يحكم هذا العالم فمن أين أتى الخير؟

لقد حاول أوغسطين تقديم حلول إجابات على كل هذه التساؤلات التي طرحها لكن كل تلك الإجابات التي توصل لها تضرب في جذورها العميقة إلى الفكر القديم

---

[1] عصام زكريا جميل . مرجع سابق ، ص ص، 93 94

[2] الكتاب المقدس . إنجيل مرقس(12: 29 -28)

* ظهرت هذه الفرقة في السامرة ثم في الإسكندرية . حاولت الخلط بين العقائد الوثنية والمسيحية فسرت بها نشوء العالم وإنبثاقه من الله ظهرت مع المسيحية ،من روادها فاليتنوس ومرقيون (أنظر،مصطفى النشار :مدرسة الإسكندرية الفلسفية بين التراث الشرقي والفلسفة اليونانية ، دار المعارف ط1، القاهرة 2006، ص 81.

خاصة الفكر اليوناني وان كانت دون شك نتيجة تأثره بالمذهب الغنوصي* الذي طالما حاربه[1].

بعد أن توصل أوغسطين إلى أن وجود الشر في العالم الذي خلقه إله خير لا يعقل أن يصدر عنه إلا الخير هذا ما دفعه للاستعانة بمذهب أفلوطين الذي يقول بأن الوجود هو الخير وأن الخير هو الوجود وأن الشر ليس له وجود إيجابي بل سلبي وهو عدم الخير وبالتالي فهو نقص في الخير وعليه فالشر لا يحتاج إلى موجد وبالتالي لا يمكن إرجاعه إلى الله ومدام الشر عبارة عن نقص فإن مصدره المخلوق لا الخالق ومنشؤه الإرادة فالله قد خلق الكائنات خيرة بما فيها الشيطان وأعطاها الحرية والإرادة وهذه الأخيرة مسؤولة عن كيفية استعمالها[2].

وعليه فالشر نتج عن عدم اختيار المخلوق للخير وسوء استعماله أي أن الشر نتج عن عدم اختيار المخلوق للخير لكن نلاحظ أنه لم يقم بتعليل هذه الإساءة الغير متوقعة مادام فاعلها خلق الخير، فالله هو الخير المطلق وعندما قام بخلق هذه الأشياء من العدم فهو أراد أن تكون خيرة وكل فعل إلهي فهو خير وعليه فلا يمكننا القول أن الشر نتيجة الخالق لأن خالق الوجود خير فلابد أن تكون الموجودات خيرة أيضا.

وقد تحدث أوغسطين عن مفهوم الشر قائلا: "ليس الشر مبدأ مفصلا قائما بذاته في وجه الله منذ الأزل، أنه غياب وضياع وافتقار للخير الذي سمح به الله وهو نتيجة استخدام خاطئ للإرادة الحرة كما يتضح ذلك في تمرد الملائكة وعصيان آدم

1 اتين جلسون : روح الفلسفة في العصر الوسيط .تر: إمام عبد الفتاح إمام . مكتبة مدبولي ط3. القاهرة. 1996،ص 164

2 كامل محمد محمد عويضة: . مرجع سابق ص39

وقد كان الله على علم بإمكانية سوء استخدام حرية الإرادة وما تجره من ويلات ولكن سمح بذلك لآن كل شيء تحت سلطانه"[1].

وعليه فبعد أن تبنى أوغسطين الحل المانوي لمشكلة الشر ثم تخلى عنه واعتنق الحل الأفلاطوني وتخلى عنه أيضا نجده قدم لنا نظرية خاصة به حيث يرى فيها "ليس الشر جوهر أبديا أزليا كما يزعم المانويون، فالله لا يخلقه بل ضده (...) ورغم بشاعته وما يحدث من آلام وآثام فانه يساهم في إظهار نظام العالم"[2]، أي أنه في تفسيره للأصل الشر في العالم نجده قد قسم الموجودات إلى ثلاثة كمالات وهي التناسب، الصورة، النظام وبحسب نصيب كل موجود في هذه الكمالات تكون مرتبة في الخير والشر هو فساد في واحدة من هذه الكمالات[3]، وعليه فأوغسطين يعترف ويقر بأن الشر لا وجود له واقعيا في هذه الحياة وإنما هو مجرد نقص في الكمال وغياب للخير فالله هو خالق كل شيء في هذا الكون خير ولا يوجد إلا الخير ولا يسمح بوجود الشر، والنفس بدورها مختلفة عن الخالق في طبيعتها وأصلها لان طبيعة الخالق خيرة مطلقة بينما النفس في تكوينها متغيرة متقلبة وفي كمالها تتطور بالزيادة أو النقصان وإذا حدث هذا التطور أو التغير إلى الأدنى فهو سمي شرا[4].

---

[1] كراس المحرقي: مشكلة الشر. مراجعة وتقديم:نيافة الأنبا رافائيل .(شركة الطباعة المصرية .ط2. مصر،دت ص 26

[2] علي زيغور:الفلسفة في أوربا الوسيطية وعصري النهضة والإصلاح. دار الحياة.دط. بيروت،1998 ص 136

[3] عبد الرحمن بدوي . موسوعة الفلسفة. مرجع سابق .ص 251.

[4] التلوع .أبو بكر إبراهيم: الأسس النظرية للسلوك الأخلاقي. (منشورات قاريونس،دط.. بنغازي .ليبيا ،1995 ص 111

المطلب الثالث: أنواع الشر

بعد أن توصل القديس أوغسطين إلى إيجاد حل للأصل الشر في العالم، قام بتقسيميه إلى نوعين أساسيين يمكن حصرهما فيما يلي:

1- **الشر الطبيعي:** ويقصد به الشر المتعلق بالموجودات الطبيعية الغير عاقلة ويمكن تجسيد ذلك في الموجودات والأشياء من حيث هي موجودة أي من حيث طبيعتها لخيرة الغير سيئة، فالعالم عبارة مسرح للفساد والخلل بالإضافة إلى الأحزان والآلام عند الإنسان، فالشر هنا هو عبارة عن فساد وزوال لكن هذا الفناء لبعض الأشياء هو وجود لغيرها حيث إذا فسدت هذه وجدت غيرها وهكذا بشكل متعاقب فالضعيف يفنى أمام القوي "فالكون يستمر ويبقى على شاكلة قصيدة من حيث جمالها في صيرورتها ومسارها أو كخطاب بليغ يكون جميلا رغم أن كلماته تسير، تنتهي، تتخطاها أو كأنها تموت"[1]، فالفناء هنا يكون في أسس النظام وفي ترتيب الكون وعلة جماله ودوامه، وعليه فالشر الطبيعي بصفة عامة هو يساهم في إظهار النظام العام وذلك بفضل العوامل الطبيعية كالزلازل والبراكين وهو في أصله خير لأنه سبيل الطبيعة للتغير حيث يقول أوغسطين "وأنه لجميل منظر التغير الذي تحدثه هذه العوامل الهدامة"[2].كذلك يرى أن "الشر الطبيعي الذي يحسه الإنسان في ذاته أثر الخطيئة وعقاب عليها (...) حيث اعتبر الأول سوء استعمال الحرية والأخر فساد التكوين"[3] أي أن أوغسطين فرق بين أنواع الشر وأعاد الشر الأخلاقي إلى سوء استعمال الحرية والشر الطبيعي الى خلل في نظام العالم.

---

[1] علي زيغور. الفلسفة في أوربا الوسيطية وعصر النهضة والإصلاح، مرجع سابق ، ص 185

[2] عبد الرحمن بدوي . موسوعة الفلسفة. مرجع سابق ص251

[3] حافظ أشرف : معالم الفكر الأوربي في العصر الوسيط. (دار طيبة.ط1.القاهرة.2004. ص ص 55. 56

2- الشر الأخلاقي:

يعتبر القديس أوغسطين أن هذا النوع من الشر هو الأصعب لأنه يعود إلى الإرادة الإنسانية وهو ناتج عن سوء استخدام الحرية المعطاة لنا، فالإنسان حر في اتخاذ الطريق الذي يريد أما خيرا أو شرا وهنا يقول "لماذا شاء الله أن يعطينا حرية الفعل للخير والشر على السواء"[1]، ومن هنا وجد إن الاستخدام السيئ للإرادة هو الذي يدفعنا للشر فالطبيعة الإنسانية قبل آدم كانت خيرة لكن بسبب الشهوة والجهل والكبر والغرور تحولت هذه الطبيعة التي خلقها الله في الأصل خيرة إلى طبيعة فاسدة حيث يقول أوغسطين "إن أبائنا الأوليين بداو يكنون على فساد باطني قبل أن يقعوا في ذلك العصيان الواضح إذ لا يمكن أن يأتي عملا عاطلا أن لم تسبق إليه الإرادة الشريرة"[2]، لكن الله وبفضل منه يمكن أن يرد هذه الطبيعة الفاسدة إلى الخير وذلك من خلال ما يعرف باللطف الإلهي الذي طالما أكد عليه أوغسطين.

أن حصول الإنسان على اللطف الإلهي هو شرط ضروري لتحقيق النجاة ولا يمكن الحصول عليه إلا من خلال قهر الشهوات والتغلب عليها حيث يقول في هذا الصدد "ذلك لأنكم لم تتغلبوا على الشهوات الهائجة فيكم بمشورات الأرواح الشريرة"[3]، وعليه فلابد للإنسان أن يبتعد عن شهواته وألا يرضيها وأن يكون زاهدا في الحياة من أجل إرضاء الله وتحقيق السعادة، لذلك نجد أوغسطين يدعو إلى الابتعاد عن كل ما يفسد الإنسان مثل إتباع الأهواء والمادة التي بدورها تؤدى إلى الوقوع في الشر لآن الشهوات هي صدر انحراف الإنسان.

---

[1] عبد الرحمن بدوي .موسوعة الفلسفة. مرجع سابق .ص 252

[2] أوغسطين : مدينة الله .مج 2. مصدر سابق ص 185

[3] أوغسطين :قيامة المسيح وقيامتنا . تق:الأنبا إيساك. مكتبة السيدة العذراء . دط.. الإسكندرية،1989 ص 14

كما نجد أنها "انتشرت ثنائية القول بالثواب والعقاب وربطتهما بالحياة الدنيا والثقة بالله فالمسيحية أولت الاهتمام بنعيم الآخرة لذلك احتلت مكانة الرفعة والسمو لطلبات الزهد والتقشف"[1]، وعليه فان أوغسطين يرى أنه لا سبيل للخلاص والنجاة إلا بالرجوع إلى الله وتحقيق اللطف الإلهي الذي اعتبره هبة إلهية مجانية حيث يقول: "المحبة فلتكتمل فينا، لننميها ونغذيها حتى تتكمل (...) حتى بهذا المال تتأصل فينا من جديد صورة الله التي عليها خلقنا لقد شوهت هذه الصورة بالخطيئة وبليت حينما طمسناها في الأرض"[2]، فالمحبة هي أساس الخلاص .

[1] حسن حنفي و آخرون : تطور الفكر الفلسفي .(مطبوعات جامعة الإمارات ، ط1 ،الكويت.1991) ص 192
[2] أوغسطين : إقامة لعازر- لباس العرس.ترجمة وإعداد: مرقوريوس الأنبا بيشوي ،(مكتبة النسر.ط1، مصر 2007) ص30

المبحث الثاني :مشكلة الخير عند أوغسطين

المطلب الأول: فكرة الخير

مشكلة الخير تحدث عنها القديس أوغسطين إلى جانب مشكلة الشر في مجال القيم وقد استمدها من مراحله الفكرية الأولى نتيجة تأثره بالفلسفات القبلة خاصة المذهب المانوي كما سبق ذكره.

يعتقد أوغسطين أن الله قد خلق الإنسان بطبيعة خيرة لأنه خير فهو قد خلق الخير لأنه خير في ذاته ومدام هو خير فلا يمكن أن يخلق سوى الخير وبالتالي فلا وجود للشر خلف الله "ففي مدينة الله رؤية للنعيم الأبدي"[1] إذن الطبيعة الإنسانية خيرة لان الله لا يخلق إلا الخير وقوة الإرادة التي خلقها في الإنسان كذلك خيرة، وعلى الرغم من أن فعل الإرادة قد يكون شرير إلا أن هذا الشر لا يمكن أن يكون موجودا في غياب الخير وعليه فهما في جدلية.

بعد أن اعتنق أوغسطين المسيحية تبنى التعريف اللاهوتي للخير حيث "يعرف الخير على أنه ما يسبب السعادة أو يسهل الحياة في الصعيد الجسدي والبيولوجي وعلى العكس من ذلك كل ما يؤدي إلى المرض بجميع أشكاله وبالأخص الموت هو شر"[2]، فالخير هو السبيل الوحيد للسعادة وهو عكس الشر الذي يؤدي إلى المرض وكذلك الموت.

"الخير عنده هو صلاح الله وأصل كل خير فالأشياء من حيث هي موجودة خيرة وغير سيئة، فالله مصدر كل شيء ومصدر كل خير فقد خلق لإرادة التي هي

[1] برتراند راسل : تاريخ الفلسفة الغربية . تر: تركي نجيب محمود (لجنة التأليف والترجمة ط2. مصر ،1968) ص 98

[2] موسى معيرش : مشكلات القيم في فلسفة أوغسطين . مجلة تبين الدراسات الفكرية والثقافية . مجلة فصلية محكمة . المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات . العدد 16. ربيع 2006. ص ص 94 101

قادرة على أن ترتبط بالخير أو تحيد عليه فإذا فعلنا الخير فإنما نفعله مشركين مع الله الذي يخلق كل فعل"[1]. فقد أنعم الله الإنسان بنعمة الخير ليعيش سعيدا دون ألام متحد مع ربه.

وعليه فإن ما يميز الشرير من الخير هو أن هذا الأخير يخضع للإرداة الإلهية بحريته أما الشرير فيخضع للإرادة الإلهية مرغم عنه شأنه شأن الأمة التي تطيع سيدها دون أن تكون راغبة في أعماقها في طاعته، إذن الخير هو مطابقة للإرادة الإلهية للنظام بينما الشر هو مخالفة لهذا النظام وعليه فان طاعة هذا النظام فضيلة تستحق الثواب ومخالفته رذيلة تستحق العقاب.

يؤكد أوغسطين أنه لتحقيق فعل الخير لابد من توفر شرطان أساسيان هما: "الشرط الأول هو الفضل الإلهي، الشرط الثاني هو حرية الإرادة الإنسانية ... وهو يقول: كلما ازداد الفضل الإلهي على الإنسان كلما كان الإنسان أكثر حرية من الآخرين ولكن الحرية الكاملة لا تنالها النفس إلا بعد الموت أي بعد أن تتحرر تماما من الجسد وتنتقل النفس إلى بارئها"[2]. إذن عودة النفس إلى الخالق نتيجة عن محبة الخالق لخلقه وإذا أردنا تصور هذه العودة فإنه يمكننا القول أنها بمثابة العقل من المحسوس إلى المعقول والارتقاء والصعود من المعرفة الحسية إلى المعرفة الفعلية.

وبذلك يمكننا القول أن الخير في رأي أوغسطين هو السير مع مقتضى القانون الإلهي ومصدرة هو الله والإرادة، الله لأنه خير في ذاته ومدام هو خير فلا يمكن أن يخلق سوى الخير، بالإضافة إلى الإرادة هذه الأخيرة ارتبطت ارتباطا وثيقا بالحرية حيث لا يمكننا الحديث عن الإرادة بمعزل عن الحرية خاصة في الجانب الديني فالإرادة هي مصدر كل فعل سواء كان هذا الأخير شرير أو خير وذلك من خلالا

[1] عبد الرحمن بدوي . موسوعة الفلسفة . مرجع سابق . ص 250
[2] كامل محمد محمد عويضة : أوغسطين فيلسوف العصور الوسطى . مرجع سابق .41

استعمالها فالله خلق الإرادة وبالتالي فهي ذات طبيعة خيرة لأن خالقها خير لكن في بعض الأحيان قد يؤدي إلى الشر وارتكاب الخطيئة والمعصية عند الاستخدام السيئ لها، فالخير والشر ينتجان عن حرية الاختيار "الإرادة تأتينا من الله وهي بحد ذاتها ليست خيرا مطلقا تماما (...) الإرادة أداة ذات طبيعة خيرة إلا أن مفعولها يمكن أن يكون سيئا حسب طريقة الإنسان في استعمالها"[1]، كما يقول أيضا "الإرادة المستقيمة هي المحبة الحقة و الإرادة الفاسدة هي الحب الشرير"[2] فالإرادة هي المسؤولة على أفعال الإنسان إما خير أو شر.

وفي الأخير فانه يمكننا القول أن الإنسان ذو إرادة خيرة بالفطرة لأن الإنسان خير لأنه من خلق الله الذي لا يخلق إلا الخير ،لكن حريته حولت تلك الإرادة الخيرة إلى إرادة شريرة لأن الإنسان حر الاختيار وهذه الحرية هي التي تدفعه للوقوع في الشر لذلك قال أوغسطين: "في الحقيقة لا يمكن للشر أن يكون جوهرا، بل هو فقدان الخير"[3] فا الشر هو حرمان الطبيعة من الخير.

إذا كانت نظرة أوغسطين للخير هو السير على مقتضى القانون الإلهي والشر هو نقص في الخير، فكيف نظر إلى الفضيلة وما هي أنواعها ؟

[1] علي زيغور : الفلسفة في أوربا الوسيطية وعصري النهضة . مرجع سابق ص 134
[2] أوغسطين : مدينة الله . مج 2. مصدر سابق ص 167
[3] المصدر نفسه ص ص 35_36

المطلب الثاني: الفضيلة

لقد تناولنا في ما سبق عرض للأهم المشكلات الأخلاقية التي اهتم بها أوغسطين كالخطيئة الأولى، الشر، الخير بالإضافة إلى هذه المشكلات نجد أن مفهوم الفضيلة أخذ حظه الوافر من الاهتمام في فكر أوغسطين مثله مثل غيره من الأفكار الأخرى في مجال القيم حيث نلاحظ أنه لا يكاد مؤلف من مؤلفاته يخلو من هذا المصطلح.

فقد دعا القديس أوغسطين إلى ضرورة التحلي بالفضائل، كما يرى أنه لابد على الإنسان أن يلتمس الحقيقة ليس لذاتها بل يجعلها وسيلة لسعادته لأن السعادة تأتي بعد المعرفة وذلك من خلال التأمل وطهارة القلب وممارسة الفضيلة كما يرى أنه كلما كان القلب طاهرا أكتر ومارس الفضيلة كلما كان اتصاله بالذات الإلهية ومعرفته للحقائق أكبر وكلما زاد اتصاله زادت قدرته العقلية قوة وعليه فالسعادة الكامنة لا يمكن أن تتحقق إلا في الحياة الأخرى ولتحقيق هذه السعادة لابد من ممارسة الفضائل الأرضية، لكي يتخلص الإنسان من كل الشرور والآثام ويتخلص من سجن نفسه التي تتبع الشهوات لابد أن يتحلى بالفضائل يجتنب الرذائل وإذا تمكن الإنسان من ذلك فقد حقق رضا الله ومعرفته كما حقق السعادة الأبدية وقد عرف الرذيلة على أنها "قول أول فعل ضد القانون الأبدي، والفضيلة هي الاتفاق مع القانون الإلهي"[1]، في حين نجده قد عرف الفضيلة بقوله: "ففي بداية الأمر فليكن راسخا في العقول أن الفضيلة المبدأ الأساسي لحياة صالحة هي التي تأمر من أعلى النفس، مقرها أعضاء الجسد فيتقدس الجسد بإرادة مقدسة"[2] وعليه فالفضيلة حسب أوغسطين هي التي تؤدي إلى الحياة السعيدة وقد ميز بين الفضيلة والسعادة بقوله:

---

[1] اتين جلسون :.مرجع سابق . ص 375

[2] أوغسطين : مدينة الله . تر : الخوري يوحنا الحلو . (دار المشرق . ط1 ، ج1 ،بيروت، 2006 ص 34

"تتضمن الفضيلة كل ما على الإنسان أن يعمله والسعادة كل ما يشتهيه"[1]، ويقصد بذلك أن الفضيلة هي كل ما يستطيع الإنسان أن يقدمه لغيره في حين ربط السعادة بالأهواء والملذات وهي متعلقة بالجسد لا بالروح، وبما أن الفضيلة متعلقة بالعمل فإن هذا الأخير حتما سوف يكون مرتبط بالمحبة "فالمحبة هي رأس الفضائل وهي التي تجب ما عداها فبوجوبها توجد الفضيلة وبغيابها تنعدم الفضيلة حتى وإن كان هذا السلوك خيرا لان الخير هنا أو الفضيلة سوف تكون فضيلة صورية فضيلة شكلية فحسب، سوف تكون صورة زائفة للفضيلة الحقة"[2]. ويقصد بها هنا أنه مادامت المحبة سيطرت على الإنسان فانه من دون جدال سوف يكون إنسان أخلاقي لأن المحبة هي ينبوع الفضائل وهذه المحبة هي محبة الله وحده دون سواه حيث يقول: "إن أدت بنا الفضيلة إلى الحياة السعيدة فإني أؤكد بأن لإكمال في الفضيلة إلا بمحبة الله السامية"[3] فالفضيلة هي التي تؤدي إلى محبة الله وهذه الأخيرة هي التي تحقق السعادة.

على ضوء هذه الفكرة ورأي أوغسطين نجد أن العالم عنده يقوم على نوعين من الحب، حب النفس الذي ينتج عنه الشرور والرذائل، وحب الله الذي ينتج عنه الخيرات والفضائل وعليه "فالفضيلة هي في الحقيقة استقامة وكمال العقل" [4] فامن خلال هذا نجد أن الفضائل التي دعا إليها أوغسطين هي فضائل داخلية يكتسبها الإنسان من خلال تجاربه المعاشة وتربيته السليمة وهدفها هو محاربة الشرور والآثام الناتجة عن الصراع الداخلي بين الإنسان ونفسه وهذا الصراع يكون بين الفضائل والرذائل أي بين الروح والجسد والغلبة في الأخير تكون حسب اختيار الإنسان إما

---

[1] أوغسطين مدينة الله مج1 مصدر سابق ص 193
[2] كامل محمد محمد عويضة ، أوغسطين فيلسوف العصور الوسطى ،مرجع سابق ص 70
[3] أوغسطين ، خواطر فيلسوف في الحياة الروحية ، مصدر سابق ،ص 366
[4] أوغسطين : محاورة الذات . تر: الخوري يوحنا الحلو . (دار المشرق . ط.1. بيروت . لبنان 2005، ص 23

شرا أو خيرا وقد عالج أوغسطين هذا الموضوع انطلاقا من تجربته الخاصة حيث يرى أنه لو كانت الفضيلة فطرية تولد مع الإنسان لما قضي نصف عمره غارق في بحر الرذائل من هنا توصل إلى فكرة مفادها أن الفضيلة ليست فطرية بل مكتسبة كما أقر انه لو كانت الفضائل فطرية لما استطاع الإنسان أن يفعل الرذيلة وقد وضح ذلك في قوله: "الفضيلة ذاتها لا تعد من الخيور الطبيعية الأولى لأن التربية تتخللها لاحقا بعدها، غلى أن الفضيلة تطالب بالمركز الأول بين خيور الإنسان ما هو هاهنا؟ وإلا كانت حربا على الرذائل"[1]. وعليه فالناس لا يولدون فاضلون بل يكتسبونها من خلال أعمالهم.

كما أكد أوغسطين أن "الفضيلة تعتمد على الإدركات العقلية للمرء والرذيلة نتاج الأفعال الشريرة التي كانت بفضل الإرادة المنحرفة نحو الشر"[2]، والسبب في ذلك ضعف الروح وإتباعها الشهوات وبعدها عن محبة الله وبالتالي انغماسها في الشر والرذيلة.

[1] أوغسطين : مدينة الله .مج 1. مصدر سابق .ص 115
[2] هنري تشادويك . مرجع سابق . ص 45

المطلب الثالث: أنواع الفضيلة

يرى أوغسطين أن الفضائل عادة سلوكية تتوافق مع الطبيعة الإنسانية العاقلة في حين الرذائل عكس ذلك لأنها لا تتفق مع القانون الإلهي وهذا الأخير هو شيء مقدس وإلهامي في العقل والنفس.

من خلال ما سبق قسم أوغسطين الفضائل إلى أربعة أنواع من خلالها يمكن تجسيد مدى محبة الإنسان المؤمن لربه والسعي وراء السعادة الحقيقية " وتلك الفضائل الأربع التي أرجو الله أن يضع قوتها في عقول الناس كما هي أسماؤها في أفواههم أتجاسر فأحددها على الوجه التالي الاعتدال وهو الحب الذي يقدم ذاته لمحبوبه كاملا، القوة هو الحب الذي يحتمل كل شيء في سبيل محبوبه، البر هو الحب الذي لا يخدم سوى محبوبه فيسيطر بصدق، الفطنة هي الحب الذي يميز بين ما يساعد على البلوغ إلى الله وبين ما يمنع عنه"[1]، هذه الفضائل الأربعة هي الأساسية عند أوغسطين فمن خلالها يستطيع الإنسان أن يعبر عن مدى حبه للإنسان وقد أطلق عليها اسم الفضيلة الرباعية حيث يقول "أما ما يسمى بالفضيلة الرباعية فهو تنوع في التعبير عن الحب ذاته بقدر ما يدركه عقلي"[2]، وعليه فيمكن حصر هذه الفضائل فيما يلي:

1- **فضيلة الاعتدال:** الاعتدال هو "الفضيلة التي تكبح جماح الرغبات الجسدية خوفا من أن تنتزع من العقل الضعيف تنازلات مؤسفة"[3] قصد أوغسطين بفضيلة الاعتدال كبح الإنسان لجميع ميوله ورغباته أهوائه بهدف الوصول إلى السعادة التي

---

[1] ،أوغسطين : خواطر فيلسوف في الحياة الروحية .مصدر سابق .ص 366

[2] مصدر نفسه . ص 366

[3] أوغسطين . مدينة الله . تر:الخوري يوحنا الحلو .(دار المشرق مج3. ط2. بيروت ، 2007) ص 115

من خلالها يرقى الإنسان لمحبة الله، كما يرى أن الاعتدال هو بمثابة الحب حيث يعرفه "الاعتدال هو الحب الذي يقدم ذاته لمحبوبه كاملا"[1] وقد قصد أوغسطين بالمحبوب هنا الله وحده دون غيره وهذا الحب يمنع الإنسان من الانغماس في الشهوات والرذائل، ولما كانت الفضيلة حرب ضد الرذيلة فإن هذه الحرب حتما سوف تولد صراع قوي بين الروح والجسد، فالجسد يريد إتباع الشهوات والروح تحاول منع ذلك هذه العملية العكسية هي الاعتدال عند أوغسطين.

2- **فضيلة القوة:** "هي الحب الذي يحتمل كل شيء بسهولة في سبيل الله"[2]، قصد أوغسطين بفضيلة القوة ذلك الحب الذي يفرض على الإنسان تحمل كل الصعاب وكل الآلام في سبيل الوصول إلى المحبوب والدفاع عنه هذا بسبب الحب لأن هذا الأخير ليس عاديا لأنه حب الله وهو الخير الأسمى والحكمة السامية، وقال أيضا: "القوة هي الحب الذي يجب أن يكون مضطرما لله، فيكبح جماح رغباتنا في الخيور الأرضية حتى أذا خسرها كان قويا"[3]، أي القوة تتمثل في مواجهة الإنسان كل المشاكل وتحمل كل الصعاب وأن يبتعد عن الشهوات والملذات الدنيوية ويزداد قوة كلما دعته غريزته لإتباع الأهواء فيحاربها ليصل إلى محبة الله التي كان يهدف لها منذ البداية.

وعليه فهو يؤكد أن القوة تحفظ الإنسان من الفشل والتحطم أمام رغباته الجامحة وقد تحدث أوغسطين على قصة سيدنا أيوب عليه السلام لما ابتلاه الله فحسر كل ما يملك من مال وجاه وصحة بالإضافة إلى أولاده ليصبح بعد ذلك إنسان فقير بعدما كان غني، مريض بعدما كان صحيحا إلا أن صبره ومحبته لله زادته قوة على قوة وهذا دليل واضح على الصبر ومحبة الله التي من خلالها يتحمل المرء كل شيء

[1] ،أوغسطين.خواطر فيلسوف في الحياة الروحية .المصدر السابق ص 366
[2] المصدر نفسه .الصفحة نفسها
[3] المصدر نفسه، ص 367

حيث قال: "لما خسر أيوب ماله كله وأصبح معدما ظل متحدا بالله في قلبه إتحادا لا يتزعزع وأظهر عدم اكتراثه برزقه واعتبر الله أسمى كنز له"[1]، فمن خلال هذا المثال حاول أوغسطين أن يوضح لنا أنه لو كل إنسان في عصرنا امتلك جرأة مماثلة لجرأة أيوب عليه السلام وتحلى بهذه الفضيلة لما كان بحاجة إلى الكتب المقدسة لترشده وتقوده إلى الطريق الصحيح حيث قال: "لو تحلى ابنا عصرنا بجرأة مماثلة لما كنا بحاجة إلى الكتب المقدسة كي تبعد عن تلك الخيور بلوغا إلى الكمال لأنه أفضل لنا ألا نتمسك بتلك الثروات التي في حوزتنا من أن لا نملكها أبد"[2] فحسب رأيه لو تحلى كل إنسان بهذه الجرأة وهذا الصبر لما كنا بحاجة إلى الأنبياء والكتب المقدسة لمعرفة الطريق البين.

3- **فضيلة البر(بكسرة الباء):** يعرف أوغسطين فضيلة البر بأنها "الحب الذي لا يخدم سوى الله ولذلك فهو يسيطر جيدا على الباقي أي على ما هو خاضع لإنسان"[3] ويقصد أوغسطين بالبر عدم الخضوع لغير الله، وهي ذلك الحب الذي يجعل لإنسان سيدا واحدا دون غيره وهو الله فيكون بدلك خادما لربه، "البر هو الحب الذي لا يخدم سوى محبوبه فيسيطر بصدق"[4]، وعليه فالبر هو ذلك الحب الذي يجعل الإنسان يضع ثقته الكامل في محبوبه (الله) فيطبق كل أوامره بطاعة ويبتعد عن كل ما نهاه فلا يخالفه و لا يعصيه.

فالبر يهب الإنسان قاعدة للحياة تعينه في خدمة الله دون كلل وملل حيث قال: "يهب البر من يحب الله قاعدة تساعده على أن يخدم الله الذي يحبه خدمة طوعية، لكونه الخير الأسمى والحكمة السامية والسلام الأسمى وعلى أن يسيطر على من

[1] ،أوغسطين . خواطر فيلسوف في الحياة الروحية ، مصدر سابق ص367
[2] المصدر نفسه ،ص368
[3] المصدر نفسه ص ص 366-367
[4] المصدر نفسه ص 366

دونه ويحسن ظنا بما يجب أن يخضع له"[1]، فالبر إذن يخضع كل شيء لله فالإنسان يعمل فقط من أجل إرضاء الله دون غيره "البر يخضع كل شيء لله وحده"[2].

4_ فضيلة الفطنة: وهي ذلك الحب الذي من خلاله يتمن الإنسان من أن يميز بين الشيء الجميل الذي يساعد الإنسان على بلوغ الله ومحبته، والشيء الذي يمنع الإنسان من ذلك أي القدرة على التمييز بين ما يقرب إلى الله وما يبعد عنه "الفطنة هي الحب الذي يميز بين ما يساعد على البلوغ إلى الله وبين ما يمنع عنه"[3]، كذلك يجب على الفطنة التحلي بالانتباه والسهر كي لا تقع في الهاوية والتي بدورها تبعدها عن محبة الله حيث يقول: "وعلى الفطنة أن تتسلح بالانتباه والسهر التام لئلا تقع فريسة مشير عاطل"[4] وعليه فهي كمال الإنسان لبلوغ الحقيقة والتمتع بها من خلال قدرتها على التمييز بين الخير والشرير.

وفي كتاب مدينة الله لم يتجاهل أوغسطين فضيلة الفطنة بل أعطاها حقها وقدم لها تعريفا عمليا واضحا حيث يقول" وتلك الفضيلة المسماة فطنة ألا تستعمل وعيها لتمييز الخير من الشر، كيلا تقع في ضلال في سعيها للخير وهروبها من الشر؟ ومع ذلك فإنها تشهد بأن الشر فينا أو بأننا في الشر وهي نفسها تعلما بأن القبول بالخطيئة شر وأن مقاومة الميل إلى الخطيئة خير"[5]، وعليه ففضيلة الفطنة من أهم الفضائل عند أوغسطين لأنها لو لا هي لما استطاع الإنسان التمييز بين الخير والشرير وبالتالي بلوغ الله وإذا افقدها الإنسان سوف يقع في شرك الله والابتعاد عنه.

[1] ،أوغسطين ، خواطر فيلسوف في الحياة الروحية .المصدر السابق ص 368
[2] المصدر نفسه ص 368
[3] المصدر نفسه . ص 366
[4] المصدر نفسه ص 368
[5] أوغسطين . مدينة الله . مج 3 . مصدر سابق . ص 116

إضافة إلى هذه الفضائل الأربعة التي سبق ذكرها نجد أن أوغسطين تكلم عن مجموعة من الفضائل الأخرى فقد ذهب إلى "القول بأنها الحكمة والعفة والشجاعة والعدل وغيرها من فضائل أخرى كالصبر والكرم والبذل"[1]، إضافة إلى الطهارة والقدرة فيقول: "الطهارة فضيلة في النفس وأن القدرة رفيقتها العادية تؤهلها لان تتحمل كل شيء لا أن تقبل بالشر"[2]، كل هذه الفضائل تساعد المرء في الوصول إلى الله لكن هذه الفضائل لا قيمة لها أمام الفضيلة الأم والتي هي (المحبة) فالمحبة هي أول الفضائل لأنها تسعى إلى محبة الله دون غيره.

---

[1] كامل محمد محمد عويضة .الفلسفة المسيحية في العصور الوسطى .(دار الكتب العلمية، ط.1. بيروت . لبنان ، 1993) ص 64

[2] أوغسطين: مدينة الله .مج 1. مصدر سابق . ص 35

خلاصـــــــــــــــــــــــــــة:

وهكذا يمكننا القول أنه في نهاية هذا الفصل توصلنا إلى فكرة أساسية مفادها أن الأخلاق في فكر أوغسطين مرتبطة ارتباطا وثيقا بالخطيئة حيث لا يمكننا الحديث عن الأخلاق بمعزل عن الخطيئة، فهو يرى أنه بعد خلق الله للعالم خيرا وجعل الإنسان الأول يعيش في نعيم جنته يتمتع بخيراتها في مدينته السماوية أنزله إلى مدينته الأرضية المليئة بشرورها ومتاعبها وآثامها، كل هذا راجع إلى تمرد الإنسان الأول عن أوامر الله وعصيانه لها وتعد الخطيئة التي قام بها آدم وحواء حينما أكلا من شجرة معرفة الخير والشر متجاوزين بذلك أوامر الله هي سبب دخول الشر إلى العالم وانتشار الفساد والظلم هذه الخطيئة حمل وزرها بقية الأجيال اللاحقة وعاشوا في شقاء ومتاعب في المدينة الأرضية وعليه فالله خير ولم يخلق إلا الخير ولا وبالتالي فالشر هو مجرد نقص أو غياب للخير ومصدره هو سو الاختيار والإرادة وهذه الأخيرة بدورها خيرة وبالتالي فالخير فو السير على مقتضى القانون الإلهي والشر هو مخالفة هذا القانون وهو نوعان طبيعي وهو طريقة للتغير، وأخلاقي يرجع إلى الخطيئة الأولى وبالتالي نفى كل نقص موجه لله وعليه فالشر مرتبط بالخطية الأولى وبالإرادة الإنسانية التي تتبع الشهوات والرذائل بينما الخير مرتبط بالله وعليه فلا يمكن تقديم تفسير للشر بمعزل عن الخير، إضافة إلى هذا نجد أن أوغسطين لم يترك الإنسان يبحث عن حل يمكنه من الخلاص من الرذائل التي وقع فيها بل حدد مفهوم للفضيلة هذه الأخيرة قسمها إلى أنواع لكن كلها تقوم على مبدأ واحد وهو حب الله فهي تعمل على مساعدة الإنسان للتخلص من الشرور التي وقع فيها وتجعله من الذين اختارهم الله للتمتع في نعيم جنته لأنها حرب داخلية بين الإنسان ونفسه من أجل محاربة الشرور فينتج صراع بين الفضائل والرذائل، بين الخير والشر والغلبة في الأخير تكون حسب اختيار الإرادة إما خير أو شرا.

من هذا المنطلق نطرح التساؤل التالي: ما هو سبيل الإنسان للخلاص من الطبيعة الشريرة والوصول إلى الخير المطلق؟ ومن ينصر في النهاية الخير أو الشر؟

الفصل الثالث:

حقيقة المدينتان وموقف أوغسطين من الصراع بين الخير والشر

الفصل الثالث: حقيقة المدينتان وموقف أوغسطين من الصراع بين الخير والشر

المبحث الأول: بنية المدينتان وغايتهما

المبحث الثاني: موقف أوغسطين من الصراع بين الخير والشر

الفصل الثالث: حقيقة المدينتان وموقف أوغسطين من الصراع بين الخير والشر

إن البحث في حياة يملؤها الآمن والاستقرار والسلام وتحقيق السعادة والرفاهية والعيش من اجل إرضاء الله كان الشغل الشاغل الذي هدف إليه أوغسطين فقد دعاء إلى الابتعاد عن كل ما يفسد البشر من إتباع المادة والأهواء والنفس باعتبارها سبب الوقوع في الخطيئة والشرور، وقد اعتقد أن العالم منذ سقوط ادم قد انقسم إلى مدينتان خيرة وشريرة ،من خلال هذا نطرح التساؤل التالي: ما هي حقيقة المدينتان عند أوغسطين؟ وما هي غايتهما؟

للإجابة على هذه التساؤلات كان من الجدير أن نتطرق أولا إلى تعريف المدينتان، وأصل مرجعيتهما وخصائص كل مدينة،ثم نقوم بعرض موقف أوغسطين من الصراع بين الخير والشر.

المبحث الأول: بنية المدينتان وغايتهما

المطلب الأول: مدينة الله ومدينة الشيطان

كما نعلم أن المتفق عليه هو أن كل مدينة لها منطلق ومسار في التاريخ العالمي لهذا نجد أوغسطين قد سعى إلى تفسير صيرورة التاريخ فلجأ إلى مفهومه السحري الذي حلا به جميع مشاكله اللاهوتية والتاريخية، ويقصد بهذا المفهوم (الازدواجية) أن الله قد خلق الإنسانية على شكل وحدة متكاملة والعقيدة توضح ذلك لأن الله في البدء خلق آدم ثم حواء من احد أضلاعه وهذا دليل على الوحدة، لكن بسبب خطيئة ادم ووقوعه في المعصية ازدوجت تلك الوحدة وانقسمت إلى عنصريين هما الخير والشر اللذان أصبحا في صراع ونزاع دائم هكذا أصبح آدم رمز للوحدة الأصلية كما انه رمز لازدواجها إلى عالمين: مدينة الشيطان وهي المدينة التي أصبحت مسكننا لإنسان كعقاب له على خطيئته، حيث يتحكم فيها حب الذات وحب الدنيا، والمدينة السماوية أو مدينة الله يتحكم فيها حب الله[1].

أي أن أوغسطين انطلق في تأسيس هذه النظرية بالاعتماد على الخطيئة الأولى، لأنه في بداية الخالق كان كل شيء خير وحسن، لكن بسبب تجاوز الإنسان الأول الأوامر الله وإتباعه لأوامر الشيطان وصل إلى تلك النتيجة المؤلمة والتي كانت عاقبتها الطرد من جنته، وعليه فالخطيئة ادم هي اكبر حدث شاهده التاريخ فمن خلالها انزله الله إلى الأرض لتظهر بعد ذالك مدينة مخالفة للمدينة الأولى، فبسبب الغرور انقسم العالم أي أصبح هناك "نظام مختص بأناس يعيشون حسب الجسد وأخر مختص بأناس يعيشون حسب الله، فإحداهما معيدة أن تعيش إلى الأبد مع الله، والأخرى تعيش العذاب مع إبليس"[2]، بمعنى أن كل شخص قام بتأسيس مدينة إما متعالية عن شروط الجسد ورغباته أو مثل ما هو موجود في

[1] على عبود المحمداوي، فلسفة التاريخ مرجع سابق ص 95.
[2] أوغسطين، مدينة الله مج2 مصدر سابق ،ص 215.

المدينة الأرضية، والعيش في إحدى المدينتين يعود إلى حرية اختيار الإنسان فهو المسؤول عن أفعاله.

وقد وضح لنا أوغسطين "أن الإنسان مكون من عنصريين عنصر الروح وعنصر الجسد، لذا فهو ينتمي إلى وطنين أولهما الأرض والأخر السماء ولكل منهما أساسه في الطريقة في الحب فالدنيوية تقوم على حب الذات ينتمي ليصل إلى حد التحقير الله والسماوي عبر الحب الإلهي الذي يرتفع إلى حد احتقار الذات"[1]، هذا معناه أن الإنسان يتكون من جانبين روحي وجسدي فالروحي يميل إلى مدينة الله والجسدي يميل إلى مدينة الشيطان ولكل منهما حب وطريقة عيش خاصة به "فمدينة البشر الذي يهوون العيش بسلام بحسب الروح وحين تتحقق أمنية هاته وتلك يعيش كل منهما بسلام، بحسب طريقتها الخاصة"[2]، فهو يوضح لنا أن الحب هو الذي افسد إرادة ادم الطيبة التي أنعم بها الله عليه ومن هنا يمكن القول أنه يقر بوجود حبيين صنعا المدينتان، فالحب الأول هو الحب الذاتي لحد احتقار الله يمثل مدينة الأرض والتي تبحث عن مجد البشر والحب الأخر هو حب الله لدرجة احتقار الذات صنعا المدينة السماوية التي تمجد الرب وتسعى للوصول إليه.

لقد أكد أوغسطين أن هاتان المدينتان ترجع إليهما سائل المجتمعات البشرية "فالأولى هي مدينة الشيطان انبثق تاريخها عندما شق الملائكة عصا الطاعة وقد تجسدت في إمبراطوريات الأشوريين والرومان الوثنية، أما الثانية فهي مملكة المسيح التي انبثقت أول الأمر في الأمة العبرية ثم تجسدت في الكنيسة والإمبراطوريات التي اعتنقت المسحية"[3] فالمدينة الأرضية تدفع مجتمعها إلى التسلط والتملك بالدوافع وحوافز الدنيا وبذلك فهي مدينة ناقصة وشريرة يعيش أهلها في ظلمات الجسد بعيدا عن الحقيقة تشغلهم الحياة الأرضية عن محبة الله وتحقيق السعادة الأبدية وقد مثلها في الشيطان حين عصى ربه تجسدت في حكم

[1] باور أحمد حاجي، المرجع السابق، ص 63.
[2] أوغسطين، مدينة الله .مج2، المصدر السابق، ص ص 156_157.
[3] سباين جورج، تطور الفكر السياسي، تر: جسن جلال العروسي، تق: عثمان جليل عثمان، دار لمعارف، ج 1، ط4، 1917، ص 276.

الأشوريين والرومان، أما المدينة السماوية فهي مدينة كاملة وخيرة يعمل أهلها عن البحث عن الفضائل التي يجب على الإنسان أن يتحلى بها من صبر وعزيمة وعفة، كما تسعى إلى الخلاص وعليه فلكل منهما ما يميزها والصراع بينهما هو القصة المثيرة والتي سوف تنتهي في أخر الزمان لان هذا الصراع ليس دائم.

كما أن تاريخ البشرية حسب أوغسطين هو وليد الصراع بين كل من المجتمع الدنيوي الذي تسيطر عليه قوى الشر والمجتمع السماوي الذي تسيطر عليه كل قوى الخير وعليه فالإنسان "مواطن لدولة في نفس الوقت دولة الأرض التي تتمثل في الدوافع الدنيوية وتستهدف التسلط والتملك، دولة الله فهي تستهدف السلام والخلاص الروحي"[1]،فمن مظاهر المجتمع الدنيوي حب التملك والسلطة في المقابل نجد المجتمع السماوي يسعى إلى الخلاص.

يعتبر المبدأ الأخلاقي القائم على ثنائية الروح والجسد المقوم الأساسي في تصوراته فقد ربط الخير بالروح في المقابل نجده قد ربط الشر بالجسد وربط النزعات البشرية بالمدينتين فمدينة الله تمثل الخير ومدينة الشيطان تمثل الشر "وليست هذه خيرة بالطبع وتلك شريرة بالطبع كما يذهب إليه المانويين وإنما ينتمي كل إلى إحدى المدينتين بمحض إرادته وبينهما منذ البداية حرب هائلة تجاهد الواحدة في سبيل العدالة وتعمل الأخرى على نصرة الظلم"[2]، فالإنسان من خلال أفعاله يحدد مصيره إما الثواب أو العقاب.

كما وضح لنا أن صراع بين المدينتان يعود إلى الاختلاف الكبير بينها خاصة من حيث طبيعة العيش والنظام فمدينة الله هي الخير وبالتالي لا يمكن أن توصف بالشرور كما إن الشر هو نقص أو حرمان الطبيعة من الخير وقد بين لنا أن "مصادر الشر تقوم على الشهوات الثلاث أو على اثنين أو على واحدة منها وهي شهوة السلطة وشهوة العين وشهوة

---

[1] محمد إبراهيم تركي، مرجع سابق، ص 216.
[2] يوسف كرم، مرجع سابق، ص 48.

الحس"[1] إذن اعتبر السلطة مصدر لشر لأنها سبب لحروب فالجميع يهدف إلى الهيمنة والسيادة والقوه فلولاها لما وقع الإنسان في الرذائل، كما أشار إلى انه بسبب الجسد و إتباعه لرغباته تم تقسيم العالم والتمييز بين المدينتين.

وعلى الرغم من قولنا بوجود مدينتين إلا انه مجرد تعبير مجازي لأنهما في الأصل واحد فهما مدينتان تعود إليهما سائر المجتمعات وكل فرد من هذه المجتمعات قد تحمل وزر خطيئة ادم لذلك سوف يعمل جاهدا على تطهير نفسه ليخلصه المسيح في أخر الزمان حيث يقول: في اعترافاته "لاشيء يخلصنا من جحيم هذه الحياة التعيسة سوى نعمة المخلص يسوع المسيح. انه إلهنا وربنا"[2]، فالمسيح يخلص الأبرار ويعاقب الأشرار.

أما عن نشأة المدينتان فيعود أوغسطين إلى ثنائية الخير والشر والأرض والسماء والنور والظلمة حيث اتخذ أوغسطين معلمين أساسيين واعتبرهما الأساس لكل تصور وهما هابيل و قايين الأول نموذج لمدينة الله والثاني نموج لمدينة الأرضية كذلك إسحاق وإسماعيل ورملوس وريموس تمثل هذه الثنائية يتوفر عليها مجتمع الملائكة بين الأخيار والأشرار لذلك لا وجود لأربعة مدن وإنما مدينتين نقطة التميز بينهما هي الحسد يتطوران معا الى غاية نهاية التاريخ[3]، أي أن كل من قايين وإسماعيل ورملوس يجسدان مدينة البشر التي تتبع الشهوات في المقابل نجد هابيل وإسحاق وريموس أبناء مدينة الله التي تسعى للخلود الأبدي وعليه فان أول مولود لمدينة الله هو هابيل وسوف يضل فيها باعتبارها مواطننا لها "ينتمي الآباء والرؤساء إلى مدينة الله، وفي مدينة الله رؤية إلي النعيم الأبدي"[4] فالمدينة السماوية متحررة من كل النزوات الدنيوية وبتالي فهيا خالية.

[1] أوغسطين، الاعترافات، تر: خوري يوحنا الحلو، مصدر سابق، ص 52.
[2] أوغسطين، مدينة الله، مج 3، مصدر سابق، ص 199.
[3] عفيان محمد، التوظيف السياسي لليوتوبيا (القديس أوغسطين نموذجا)، مذكرة التخرج للماجستير للفلسفة، جامعة الجزائر، الجزائر، 2008/ 2009، ص 112
[4] برتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، تر: زكي نجيب محمود، لجنة التأليف والترجمة، ط4، (د.ن) 1968، ص 98.

مما سبق نجد أن أوغسطين عمل على إعطاء رموز خاصة للمدينتين حيث "رمز لمدينة الله بأورشليم والتي تعني لغويا (رؤية السلام) أو المدينة الخالدة أو حب المؤمنين ولمدينة الأرض ببابل والتي تعني لغويا البلبلة والتشتت والخلط أو (حب غير المؤمنين)"[1]، وقد فعل أوغسطين هذا عمدا هدفه إيضاح مفهوم المدينتين حيث يقول: "لقد عملت بوجود مدينتين متداخلتين ومميزتين الواحدة عن الأخرى هاهنا جسما وقلبا وباقين على هذا الحال على مر الأجيال: إحداهما تعني السلام الآن وتدعى أورشليم والأخرى تفرح بالسلام الزمني وتدعى بابل، بابل تعني البلبلة وأورشليم تعني رؤية السلام هاتان المدينتان هما وليدتا حبين اثنان: أورشليم وليدة حب الله وبابل وليدة العالم"[2]، يعتقد أوغسطين أن بابل مليئة بالشرور لآن بابل تساند الظلم بأخلاقها والحب فيها غير نقي وهي خاصة بالشعوب الكافرة لأن أهلها همهم ليس الوصول إلى الله وإنما جعلوه وسيلة يتمتعون من خلالها بالعالم في المقابل بين أن أورشليم أصحابها ينصب كل اهتمامهم في محبة الله والسعي نحو الخلاص فاهم لا يتابعون أهوائهم ويحاربون الظلم عكس المدينة الأرضية ومن هنا قال: "هناك وجود نمطيين من أنماط الحياة في التاريخ يتألف النمط الأول من أولئك الذين يطوقون إلى الحياة وفقا للجسد وهم الذين أطلق عليهم تسمية أصحاب المدينة الأرضية أو مدينة الشيطان"[3]، على الرغم من هذا الانفصال ألا أنهما يتقدمان معا ويمهدان ظهور المسيح.

المطلب الثاني: الأصول المرجعية للمدينتان والغاية منهما

لقد اشتغل الكثير من المفكرين والفلاسفة بفكرة المدينة والتي يتمتع فيها الجميع بالعدالة والمساواة ولعل أول من تحدث فيها وتصورها هو الفيلسوف اليوناني الشهير أفلاطون ذلك في محاوراته وكتبه خاصة كتاب الجمهورية أو السياسة ثم جاء بعده فلاسفة وحكماء اتبعوا خطاه حتى وان اختلفوا في تصوراتهم لبناء تلك المدينة ونخص بذكر هنا المعلم الأول

[1] زينب محمود الخضيرى، مرجع سابق، ص 151.
[2] المرجع نفسه، 151
[3] هاشم يحى الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2007،ص 96.

أرسطو حيث وضح كل تصوراته في كتابه السياسة ليفتح بعد هذا العمل الفكر الإنساني على مصراعيه ليأتي فلاسفة آخرون و يكتبوا في هذا الموضوع لكن بمنظور مختلف هذا راجل للواقع المعاش والبيئة المحيطة بينهم، ولعل أبرزهم نجد أوغسطين من خلال نظرية المدينتين، فكيف اثر أوغسطين سياسيا بفكرة المدينتان؟ ومن أين استمدها ؟وما هي الغاية منهما؟

ما يساعدنا دوما في تفسير ومعرفة حقيقة أي نظرية سواء كانت عقائدية أو لاهوتية هو العودة إلى الوراء إلى أصولها ومصدرها الأولى هذه العملية سوف نطبقها على نظرية أوغسطين الشهيرة المعروفة بنظرية المدينتان، كما سبق ذكرها.

إن البحث في أصل هذه النظرية وضعنا في جدال كبير وبين أراء مختلفة أي أن هناك اختلاف في مصدر هذه الفكرة عند أوغسطين فهناك من عاد "بأصلهما في المدينة الفاضلة التي تصورها أفلاطون وهناك من قال بتقابل التوراتي بين بابل والفرس وهناك من أعادهما إلى التصورات المانوية"[1]، وبما انه لا يمكننا رصد أي موقف من هذه المواقف رفضا تاما لان كل واحد منهما يحتوي على جانب من الصحة فإننا نظن أن هناك مصدر أخر لهذه النظرية وهو الفترة التاريخية التي عاشها أوغسطين كمسيحي والتي بدورها فرضت عليه بلورة هذه النظرية في هدف الدفاع عن المسيحية وإظهار هدفها الحقيقي وتحديد علاقتها بالدولة والسلطة.

هذا المأزق الذي وجد أوغسطين نفسه غارقا فيه دفعه إلى العود إلى الوراء، العودة إلى التراث القديم كاليهودية والمسيحية بصفة عامة والمانوية بصفة خاصة ليأخذ منها أفكار تساعده في الفهم و التأسيس لنظرية جديدة[2].

[1] عامر عبد زيد، تأويل اللاهوتي لتاريخ عند أوغسطين، إشراف علي عبود، دار الروافد الثقافية، ط1، بيروت، لبنان، 2012، ص 96.
[2] زينب محمود الخضيري، المرجع السابق، ص 108.

تبعا لمسار أوغسطين الفكري والعلمي وتبعا لتعليمه نجد انه قد اخذ من المانوية فكرة المدينتين والهدف منها كما قلنا سابقا هو التأسيس لنظرية جديدة الغاية منها هو الدفاع عن المسيحية والرد على من اتهمها بأنها كانت السبب في ما حلى بروما من حروب وصراعات والذي أدى بدوره إلى زعزعت إيمان الكثير بالمسيحية ومن هنا "أدرك أوغسطين أن ذلك الصرح الديني العظيم يوشك إن ينهار إذ لم يعمل شيء يخفف من هذا الذعر المستولي على النفوس ولهذا قرر أن يبذل قصار جهده لإقناع العالم الروماني أن هذه الكارثة وأمثالها لا تعيب المسحية"[1]، هكذا جاءت دراما أوغسطين في سرد وتفسير مسار التاريخ بالاعتماد على الكتاب المقدس كما قال: بوجود مدينتين ترتكزان على نقطتين أساسيتين هما:

- "وجود عقبتين زمنيتين تجمع كل المدينتين الأرضية السماوية الأولى من عهد قبيل ابن ادم إلى عهد إبراهيم وفيها كانت المدينتان مختلطتان.
- ما بعد إبراهيم فالمدينة السماوية تمكنت باليهود والأرضية شملت باقي الإنسانية وكانت ذروتها الإمبراطورية الرومانية والفاصل بين الحقبتين هو ظهور المسيح"[2]، هذا هو المحور الجوهري لفكر أوغسطين، وقد حاول من خلاله أن يوضح لنا أن هذا التقسيم للمدينتين هو بمثابة حجة حاول أن يبرز من خلالها أن المدينة الأرضية ما هي إلا عالم مملوء بالشرور عالم يسيطر فيه حب الذات والاستهانة بالرب لأنهم يعيشون حسب إرادة الإنسان والمسيحية هي السبيل الوحيد للخلاص هكذا حاول أوغسطين التصدي لكل الاتهامات الموجهة لها.

وقد اعتقد أوغسطين أن جميع الشرور تعود إلى الإمبراطورية الرومانية من خلال جريهم وراء المطامع الأرضية وهي خيرات عابرة بدلا من السير وراء الخلاص وفعل الخير بالوصول إلى محبة الله فك افعله شعب روما حسب رأيه ما هو إلا دعوة إلى التسلط وإتباع شهوات الأنفس وخلاص بلادهم أي أنهم حصروا كل اهتماماتهم في تأمين الخلاص لمدينتهم الأرضية متجاهلين الاهتمام بالمدينة السماوية كل هذا دفعهم إلى ممارسة الظلم

[1] باور أحمد حاجي، المرجع السابق، ص 62.
[2] عامر عبد زايد، المرجع السابق، ص 79.

فكثرت بذلك شرورهم وزاد حبهم لذات واحتقارهم لله فقد فقدوا كل شي فيما بعد، حيث يقول في هذا الصدد "إن سبب سعادة الملائكة الصرحين هو اتحادهم بالكائن الأسمى وسبب شقاء الملائكة الأشرار هو انتفائهم عن من هو كائن بذاته نحو ذواتهم التي لا كيان لها"[1]، فالسعادة الحقيقية توجد بالقرب من الله والاتحاد مع الكنيسة من اجل الخلاص.

يرى أوغسطين أن المدينة السماوية تمثلها الكنيسة وما يقصد بهذا أن الكنيسة هي مملكة أو مدينة الله وإنما "اعتقد أن خلاص البشر وتحقيق الحياة السماوية يعتمد على واقعية الكنيسة بوصفها اتحاد يصم كل المؤمنين وقدرتها ان تلعب دورها في تاريخ البشرية بوحي كلمة الله ورعايته"[2]، في حين يرى ان الدولة عبارة عن "مجموعة من الناس يربطها تسليم عام بالحق ومجموعة من المصالح"[3]، فالحق يتحقق عن طريق العدالة وليس القانون وهذه العدالة هي التي تؤمنها الكنيسة من خلال سهرها على رعاية الأفراد وتحقيق مطالبهم وعليه فالدولة تتحقق في الأرض مثلها مثل الكنيسة لكن الاختلاف الجوهري بينهما هو أن "الدولة لا تنشأ عن عقد ولا تنشأ عن خطايا الناس وإنما تنشأ عن الغرائز الموجودة في الطبيعة الإنسانية ولهذا فالدولة ضرورية وليست عرضية وان الدولة المثالية هي الدولة المسحية التي تستمد سلطانها من الله مباشرة"[4]، أي أن الدولة تعمل من اجل تحقيق السعادة في الأرض وفي الآخرة بنسبة للمواطنين.

يؤكد أوغسطين أن الدولة الأرضية ما هي إلا ثمرة للخطيئة الأصلية التي قام بها ادم وقد نشأة في الأرض كمؤسسة يسيرها الأشخاص ارتبطوا بحياة الدنيا عكس اللذين يتجهون بأرواحهم إلى السماء والذين لا يهمهم سوى الوصول إلى السعادة التي لا يمكن الوصول إليها في ظل إتباع شهوات الدنيوية وعليه فالدولة هي التي نعيش فيها بينما الكنيسة ليست

---

1 أوغسطين، مدينة الله، مج2، مصدر سابق .ص 66.
2 علي عبود المحمداوي، مرجع سابق، ص 79.
3 ليوشتراوس، تاريخ الفلسفة السياسية، تر: محمود سيد احمد، المجلس الأعلى لثقافة، ط1، ج1، القاهرة، 2005، ص 269.
4 باور احمد حاجي، المرجع السابق، ص 64.

منافس لها وإنما هي أيضا مجتمع له عاداته الروحية ومن هنا نجد أن "الدولة الواقعية هي التي نعيش فيها أما الكنيسة ليست المنافس لدولة بل هي أيضا المجتمع وعاداته الروحية"[1]، ولهذا السبب اعتبر أوغسطين أن ظهور الكنيسة هو نقطة تحول في التاريخ باعتبارها مرحلة لصراع بين قوى الخير وقوى الشر ومنذ هذه اللحظة أصبح خلاص الإنسان مرتبط بمصالح الكنيسة "الإنسان من حيث هو في جوهره عاص وآثم يحقق الخلاص بواسطة الكنيسة"[2]، أي أن الكنيسة تحتل مرتبة أعلى من أي مصالح أخرى لذلك دعا لتمسك بها.

وقد تصور أوغسطين أن مهمة الدولة تنحصر في معاقبة الأفراد الذين يرتكبون الأخطاء ويقيمون بأعمال الشر وبالتالي فهو الذي أراد قيام تلك الدولة والشخص الذي يكون على رأسها مفوض من طرفه كما أكد أنه لكي يستطيع الإنسان أن يعيش حياة تسمو فيها العناية بالروح لابد أن تكون هذه الدولة مسحية "فالمثل الأعلى لدولة إنما هو المثل المسيحي وهذه الدولة التي يتصورها هي التي تستمد سلطانها من الله مباشرة"[3]، فالمسحية بوصفها ديانة حقيقة تتميز بالأخلاق الفاضلة كما تدعو إلى العيش بسلام مع الجميع أي أنه على "الجميع أن يتناسوا الماضي ويتصرفوا بإخلاص إلى التفاهم المتبادل ويصونوا ويعزوا معا العدالة الاجتماعية والخير الأخلاقي والسلام والحرية لفائدة الناس أجمعين"[4] هذا معناه أن الدولة سوف يكون عملها تحقيق السعادة على الأرض وفي الآخرة لكن بشرط وجود المثال المسيحي.

ومن هنا يمكننا أن نحدد العلاقة بين الدولة والكنيسة هي أن الأولى تساعد على تحقيق أغراض الكنيسة أما هذه الأخيرة فهي تعمل على توجيه الدولة إلى الحياة الأخرى، من خلال هذه العلاقة سوف يتحقق السلام في الأرض فالكنيسة أداة للشفاعة وهي التي

---

[1] عبد الرضا حسين الطعان وآخرون، موسوعة الفكر السياسي عبر العصور، دار الروافد الثقافية، ط1، لبنان، 2015، ص 351.
[2] برتراند راسل، حكمة الغرب، عرض تاريخي للفلسفة الغربية في إطارها الاجتماعي والسياسي، تر: فؤاد زكريا، دار علم المعرفة، (د.ط)، ج1، الكويت، 1983، ص 199.
[3] عبد الرحمان البدوي، فلسفة العصور الوسطى، مرجع سابق، ص 39.
[4] أليكسي جور أفيسكي، الإسلام والمسحية، تر: خلف محمد جراد، دار عام المعرفة، ط1، الكويت، 1996، ص 122.

تربط العبد بربه من أجل الوصول إلى السعادة الأبدية "فالطبيعة الفاسدة لمل إنسان تقتضي وجود إنسان تقتضي وجود دولة أرضية قوية للسيطرة على الشر البشري لذا فالدولة الأرضية شيء لابد منه مدام الصراع التاريخي بين الخير والشر مستمرا أي خلال الزمن الفاصل بين يوم السقوط ويوم الدينونة"[1] فالكنيسة هي نقطة تحول كبيرة فمن خلالها أصبح خلاص البشر بمصالح الكنيسة فهي تحتل مرتبة أعلى لذلك دعا إلى التمسك بها وعليه فكل من سعى وراء الخير والعفة والفضائل وتمسك بمصالح الكنيسة وصل إلى المدينة السماوية وكل من اتبع الملذات الدنيوية غرق في الشقاء هذه الغاية الكبرى التي أراد أوغسطين توضيحها والوصول إليها.

الطلب الثالث: خصائص المدينتان

طبيعة الحب: لقد ذهب أوغسطين إلى القول أن دعامة الحياة الإنسانية والاجتماعية هي احتياج الإنسان لأخيه الإنسان إلا أن أوغسطين لم يستخدم مصطلح الاحتياج وإنما اعتمد على مصطلح أخر أكثر دقة ووضوح وتعبير وهو مصطلح الحب، يعتبر هذا الأخير "القوة الدينامكية المحركة للنفس الإنسانية والدافع لأفعالها"[2] فأوغسطين يرى أن الحب هو الذي يحرك الإنسان للحصول على كل ما يرغب فيه من وسائل وغايات وقد صاغ فكرة الحب على شكل قانون حيث قال: "إن قيمتي في حبي"[3] فالحب هو أساس كل شيء عنده.

وكما رأينا فيما سبق أن العالم حسب أوغسطين قد اقسم إلى مملكتين بعد خطيئة آدم "إحداهما مدينة الله والأخرى مدينة العالم فيها تسافر الأولى اليوم بكونها تختص بالبشرية"[4]هذا التقسيم اعتمد على ما في الإنسان من محبة فكل مدينة من هاتين المدينتين أهلها يميلون إلى محبة خاصة بهم فالبشر عند أوغسطين وفقا لما سبق نوعان منهم من لا

---

[1] غنار سكيريك نلزغيلجي، تاريخ الفكر الغربي من اليونان القديمة إلى القرن العشرين، ص 256.
[2] زينب محمود الخضيري، مرجع سابق ص 144
[3] المرجع نفسه ص 144
[4] أوغسطين، مدينة الله، ج3، مصدر سابق، ص 6.

يشغلهم سوى تحقيق غاية واحدة وهي الحصول على السعادة من خلال محبة الله ومنهم من لا يشغلهم إلا حبهم لذاتهم أي حب الدنيا ومتاعها وبعدهم على الله" فحب الذات لحد احتقار الله بني المدينة الأرضية وحب الله لحد احتقار الذات بني مدينة الله إحداهما تفاخر بذاتها والثانية بالله تفاخر"[1]. إحداهما تهدف إلى الوصول للمجد والأخرى تضع أعز ما تفاخر به في الله باعتباره هو الشاهد الأول على ضميرها وطبيعة هذا الحب هي الانسجام والتوافق مع أهل المدينة والنهاية حتما سوف تكون إما في الحياة الأبدية الخالدة أو البقاء الدنيوي الزائل ويوضح هذا بقوله: "حبان قد يجتمعان في الإنسان ذاته وانه حسنا للإنسان ينمو الحب الذي يجعله يعيش عيشة صالحة على حساب ذلك الذي يجعله يعيش عيشة سيئة"[2] فالسبب الجوهري للشقاء مرتبط بنوعية الحب الموجود داخل الإنسان وعليه فنوعية الحب هي التي تحدد نوعية الإنسان حيث يقول: "إذا ما سألنا إنسانا عما إذا كان خير فإننا لا نسأله عما يعتقد و لا عما يعمل بل عما يحب"[3] ومن هنا تصور أوغسطين أن تاريخ البشرية ما هو إلا صراع بين هاذين الصفتين منن البشر أول ما يعرف بمدينة الله ومدينة الشيطان فالمقياس الأول للتفرقة بينهما هو طبيعة الحب باعتباره ثمرة التغلب على الذات والشهوات واحتقارها للوصول إلى السلام الأبدي نتيجة الغرق في الملذات والشقاء والتعاسة الأبدية وقد قال في هذا الصدد: "أرع محبة الله في قلبك كي تحيا إلى الأبد كما هو الله إلى الأبد"[4]

إذن المدينة تؤسس من خلال المحبة فهي التي تقرر مصير الإنسان ويصف هذا بقوله: "كما أن الحب العاطل يضرم النفس ويدفعها إلى طلبات الملذات الأرضية التي تؤدي بها إلى الهلاك فاللجة، هكذا فإن الحب المقدس يسمو إلى ما هو خالد إلى ما لا يزول ويرفعها من أعماق الأرض إلى السماء"[5] فالكمال الأخلاقي يكمن في محبة الله وفي التوجه نحو الخالق فإذا استطاع الإنسان تحقيق ذلك عاش مع الملائكة الصالحين في الحياة الأبدية وإذا

---

[1] أوغسطين، مدينة الله، مج2، مصدر السابق، ص 211.
[2] المصدر نفسه .ص 218
[3] زينب محمود الخضيري مرجع سابق ص 147
[4] أوغسطين خواطر فيلسوف في الحياة الروحية ،مصدر سابق ص 27
[5] المصدر نفسه، ص121.

اتبع الشهوات كانت نهايته الشقاء والزوال وعليه فهو يدعو الناس بقوله: "أحب الله حب ينسيك نفسك"[1] فهو يدعو إلى التخلي على ما في العالم من ملذات الدنيا من أجل الوصول إلى محبة الله وتحقيقها ويؤكد ذلك بقوله : "إذا أردت أن تكون اله وابن العلي فلا تحب العالم وما فيه: حب العالم أشبه بيد النفس التي إذا أمسكت شيئا استحال عليها الإمساك بشيء أخر ولكن لكي تستطيع أن تمسك بما يقدم لها يجب عليها أن تتخلى عما معها أن أنت أحببت العالم فلا يسعك أن تحب الله لأن يدك مشغولة"[2] وعليه فالحب هو المقياس الأول للتفرقة بين المدينتين باعتبار مدينة الأرض حبها زائل وفاني في حين مدينة الله حبها دائم وأبدي لأنه ببساطة يكون نحو الله.

طبيعة الفضائل :يمكن اعتبار الفضيلة مقياس ذو أهمية كبيرة فأوغسطين يرى أنه إذا كان الحب هو الذي يحدد نوعية الإنسان وهو ثمرة التغلب على الشهوات والرذائل أو العجز أمامها فإن الفضيلة هي رسالة الرب إلى العباد وهي السبيل الوحيد للخلاص والوصول إلى الله وعلى الرغم من كون كل مدينة تجسد الفضائل الخاصة بها سواء كانت قائمة على محبة الله أو محبة الذات إلا أن " الفضيلة الكبرى (...) هي محبة الله واضع النظام والمعين نفسه غاية لنا وهي تتضمن سائر الفضائل وهي الحكمة من حيث أنها الوصول إلى قمة الخير وهي الفطنة من حيث أنها تجعلنا نحذر كل شيء مخلا الله وهي الشجاعة بفضل قوة إتحادنا بالله وهي العدالة من حيث أنها فوز على النظام فالسعادة والفضيلة متطابقتان وما الفضائل الأرضية إلا وسائل لغاية أبعد منها"[3] وعليه فأوغسطين يدعو الإنسان إلى ترك كل ما فرضته عليه الدولة الأرضية وإتباع كل ما يدعو إليه الله من فضائل ويجب أن يحبوا الله لأنه هو مصدر كل فضيلة.

[1] ا أوغسطين خواطر فيلسوف في الحياة الروحية . مصدر سابق، ص 123.
[2] المصدر نفسه ص 28.
[3] زيد عباس كريم، أسبينوزا والفلسفة الأخلاقية .إشراف احمد عبد الحليم عطية، دار التنوير، دط، بيروت، 2008، ص 42.

يعتقد أوغسطين أنه على الرغم من أن المدينتان يلتقيان في الحياة الراهنة ويتشاركون في الأعباء لان الخيرات في المدينة الأرضية يتنازعون عليها إما في المدينة السماوية هي مجرد وسائل لصيانة حياتهم و الغاية الحقة عندهم هي الفضيلة والكمال الروحي وعليه فإن نقطة التميز بينهما هي أن المدينة السماوية هي مدينة نقية خالية من الشرور عكس المدينة الأرضية كما أن أهلها يتبعون الفضائل التي دعا إليها الله لذلك يجب إتباع القيم الأخلاقية التي تخدم الروح وتبتعد عن الشهوات وهنا يمكن التمييز بينهما فالفضائل من أهم المقاييس التي تميز المدينتان.

طبيعة السلطة: هذا المقياس يختلف عن المقاييس السابقة وهذا راجع إلى اهتمامه بالمجتمع وخاصة الجانب السياسي والسلطة فيه كما يأخذ بعين الاعتبار دور لعناية الإلهية في تفسير حركية التاريخ ولهذا يرى أوغسطين أن التمييز بين مدينة الله ومدينة الشيطان في نمط السلطة هو العامل الأساسي فالسلطة في المدينة الأرضية نابعة من إرادة الأفراد وبالتالي فهي تقوم على الظلم والجشع وتساند الظلم وتعمل عل نصرته وعليه فهي سلطة زائلة مصيرها هو التدهور والانحلال في المقابل نجد سلطة المدينة السماوية مصدرها هو العناية الإلهية وهدفها جعل الفضيلة والعدالة مسيطران كما أنها سلطة خاضعة لله والذي بدوره فوض الكنيسة لتنوب عليه باعتبارها خاضعة للقانون الطبيعي الصادر عن الحكم الإلهي وهذا الصدد يقول أوغسطين: "نعبد هذا الإله الذي يرسم للطبائع أصولها هو خالقها ومبدؤها وغاية حركتها ومداها في الزمن"[1]عكس القانون الوضعي الذي ابتكره البشر من أجل تنظيم حياتهم.

كما يؤكد أوغسطين "أن العلاقة بين الإنسان والله هي علاقة بين المخلوق الممدود وبين الخالق اللاممدود وهذه الفجوة الهائلة لا يمكن ملؤها بدون تدخل العون الإلهي أو العناية الربانية والعناية الربانية أمر ضروري حتى يشرع المرء في توجيه إرادته نحو الله عندما

[1] أوغسطين مدينة الله مج 1 مصدر سابق ص 354

يحاول الإنسان أن يحيا حياته في عدالة معتمدا على قوته الذاتية بدون العون الإلهي فإن الخطايا سرعان ما تهزمه ولكنه إذا هو تسلح بالإرادة والعزم يصبح قادر على تلمس الإيمان و الخلاص ومن ثم يتأهل لتبقى النعمة الإلهية"[1] فهو بذلك يدعو إلى الابتعاد عن إتباع السلطة الأرضية لان مآلها الزوال وإتباع سلطة الكنيسة لان مصدرها هو التفويض الإلهي من اجل الوصول إلى سعادة الدنيا وسعادة الآخرة.

وعليه فإن أوغسطين قدم لنا رؤية فلسفية للتاريخ ذلك وفق التصور المسيحي كما نظر إلى الحضارات السابقة على المسيحية على أنها حضارات شر دنيوية تلخص دورها في التمهيد لظهور المسيح وإلى غاية ظهوره دعا المجتمع إلى التسليم بالسلطتين الزمنية والدينية للكنيسة ورجالها باعتبارهم هم الآباء الذين يقودون الجميع إلى طريق الرب وطريق السعادة في الدنيوية و الأخروية[2] من هنا وضح أن التاريخ هو عبارة عن مسرحية ألفها الله ويمثلها البشر على أرض الواقع.

الخلود والفناء:

يؤكد أوغسطين أن مدينة الله هي مدينة خالدة هذا راجع إلى إتحاد أفرادها بالله الأبدي لدرجة احتقار الذات وما ينتج عنها من شهوات ورذائل كما "يرى أن السعادة الأبدية لا يحققها الإنسان عبر الشبع من طيبات دنيوية محددة بل الله باعتباره غير زائل وحبا له بمحض إرادته لقد خلق الله الإنسان وفيه فقط يجد الإنسان كمال سعيه فالسعادة الحقيقية بنظر أوغسطين تتحقق في "مدينة الله" في السبت الأبدي "أي في الآخرة"[3] وعليه فهو يدعو الأفراد للاتحاد به من أجل ضمان العيش في مدينته الخالدة من هنا نجد أن المدينة الأرضية على الرغم من تمتع أفرادها بالخيرات الدنيوية إلا انه يمكن اعتبارها حالة عرضية لأنها

---

[1] فردريك كوبلستون ،،مرجع سابق،ص119
[2] مصطفى النشار ،مرجع سابق ص ص 75 76
[3] باور أحمد حاجي، مرجع سابق ص 64

سوف تزول وتندثر وبالتالي فهي فانية " شانها شأن الجسد المنتقل من نمو إلى عجز"[1] فحبها للذات وإتباعها للأهواء الجسد هو الذي جعل نهايتها الزوال وبالتالي فإن المقياس الأساسي لمدينة الله هو الخلود ويؤكد هذا بقوله "وتكون دينونة الله العادلة الذي سيجازي كل واحد حسب أعماله أما الذي يصبر في العمل الصالح يطلب المجد والكرامة والبقاء في الحياة الأبدية وأما الذين هم تهل التخريب لا يطاوعون الحق بل يطاوعون الإثم فسخط وغضب وشدة على كل إنسان يفعل الشر"[2] وعليه فإن أهم نقطة تميز بين المدينتين إلى جانب طبيعة الحب والفضائل والسلطة هي المصير فمدينة الله مصيرها هو الخلود وفي المقابل نجد مدينة الله مصيرها هو الفناء الزوال.

---

[1] عفيان محمد، مرجع سابق ص 112
[2] المرجع نفسه،ص 113

المبحث الثاني : موقف أوغسطين من الصراع بين الخير والشر

إن العقل البشري مريض يعجز عن مقاومة بهاء الحقيقة ويعالج أمراضه بتعاليم الخلاص أملا أن تشفيه النعمة الإلهية بواسطة الإيمان والمحبة من الصراع الذي سكنه بين الخير والشر ، بين محبة الله ومحبة جسده وشهواته، حيث أن هذا الداء يفتك بالعقول التائهة ويصيب بالعناد فلا يقوى على قبول الحقيقة ومن خلال هذا الفصل الذي بين أيدينا سوف نتحدث عن الصراع والجدال القائم بين الخير وهو حب الله والشر وهو حب العالم والذي كان قائم في نفس أوغسطين بحد ذاته يوما ما وكذلك عن سبل الخلاص ألا وهو الفضيلة وفي النهاية سوف نتطرق إلى أن الصراع هو السبيل الوحيد للسلام وأن الانتصار سوف يكون حليف قوة الخير والسعادة من نصيب مدينة الله.

المطلب الأول: الشر فساد في المجتمع والفضيلة سبيل للنجاح

يرى أوغسطين أنه إذا كان الكمال الأخلاقي يكمن في محبة الله والتوجه بالإرادة نحو الخالق فإن الشر ليس عنصرا إيجابيا لأنه ليس من صنع الله كما سبق ذكره وإنما هو ناتج عن أفعال وإرادة البشر وبالتالي فهو انحراف عن الإرادة المخلوقة بعيد عن الخير ، ولما كان قوام الأخلاق هو حب الله وكان جوهر الشر هو البعد عن تلك المحبة فهذا يدل على أن هناك فجوة هائلة بين الخالق والمخلوق لا يمكن ملؤها إلا بالبعد عن الشر وبالتالي فهو يعتبر أن الشر سبب الفساد في المجتمع بسبب الخطيئة انقسم هذا الانقسام أدى إلى دخول الشر للعالم فأصبحت هناك مدينة شريرة تقوم على الظلم الجشع وتخضع للشهوات والنزوات الجسدية كل هذا دليل على نتائج الشر السلبية وأثرها على المجتمع وأثرها على المجتمع حيث يقول "شعب أفسده الجشع والدعارة اللذان أنجبهما ذاك الازدهار ...الازدهار أفسدكم"[1] فبسبب الجشع وحب السلطة ظهر الشر وفسد الناس.

[1] أوغسطين مدينة الله مج 1 مصدر سابق،ص 56

كما يرى أن الإنسان منذ عصيان أوامر الله وتمرده عليها قد حكم على نفسه بالعيش في العذاب في المدينة الأرضية والذي بدوره تجسد على شكل أنضمه الحكم وما تحتويه من ظلم وعبودية من هذا المنطلق أراد أوغسطين أن يوضح لنا أن إتباع الشرور والبعد عن الفضائل هو السبب الأول في التدهور والفساد وقد وضح هذا بقوله "لا تظنوا أن أجدادنا قد جعلوا بقوة السلاح من الجمهورية الصغيرة جمهورية كبيرة لو كان الأمر صحيح لكانت اليوم أكثر ازدهارا أليس لنا خلفاء ومواطنين أكثر مما لهم؟ أليس لنا سلاح وخيول أكثر مما كان لهم؟ لكن هناك أسباب أخرى جعلتهم أقوياء لم يعد لنا مثلها اليوم :في الداخل نشاط وفي الخارج حكم عادل في المجلس فكر حر ومع الجريمة والشهوات عداوة وبدلا من تلك الفضائل لنا البذخ والجشع بؤس عام وثراء فردي نمتدح الثروة ونعيش البطالة لا فرق بين صالح وشرير أجل عندما لا يستشير أحدكم سوى مصالحه (...) فهل نستغرب الهجوم على الجمهورية"[1]، فأوغسطين يصرح أن العدالة هي الأساس الذي يقوم عليه المجتمع والعدالة هنا هي تلك الفضيلة التي "تعطي كل ذي حق حقه"[2] هذه الأخيرة لا تتحقق في وجود الشر الذي بدوره يفسد المجتمع ويدفعه إلى الصراع حول السلطة وقد اعتبر أوغسطين أن" حب المال مصدر كل شر"[3]، فالشر يؤدي إلى حب المال وجمع المال يؤدي إلى الجشع وحب السلطة هذه الأخيرة بدورها تدفع النفوس إلى القيام بالشر وإذا اشتد الشر في النفوس سوف يفسد المجتمع.

كما وضع لنا أيضا أن الفساد الديني يدفع الإنسان إلى القيام بالشر داخل المجتمع حيث يقول: "الفساد الديني أوصل إلى الفساد الخلقي والفساد السياسي واستسلم الشعب إلى

[1] أوغسطين مدينة الله مج 1، مصدر سابق ص244
[2] أوغسطين مدينة الله مج3 ،مصدر سابق ص 116
[3] أوغسطين مج1 المصدر السابق 159

نزواته وإشباع ملذاته ولم يعد يطالب الدولة بإقامة العدل وصيانة حقوق الإنسان"[1] وعليه فغياب الدين من أهم العوامل التي تساهم في فساد المجتمع و انتشار الشرور.

من خلال النتائج الوخيمة للشر دعا أوغسطين إلى التحلي بالفضائل باعتبارها حرب ضد الرذائل حيث يقول: "الفضيلة التي يسميها اللاتين اعتدالا تكبح جماح الرغبات الجسدية خوفا من أن تنتزع من العقل الضعيف تنازلات مؤسفة؟"[2]، كما اعتبر أن "مركز الفضيلة يكمن في النفس حيث تتحكم في الجسد لذلك فإن الجسد يظل طاهرا طالما كانت تتحكم في عواطفه مقدسة وطالما ظلت الإرادة ثابتة في إصرارها على مقاومة الشر فإن أي عنف يمارس على الجسد لا يجعله مذنبا وهذه الاعتداءات لا تفقد الإنسان عفته"[3]، فما يريد توضيحه لنا هو حاجتنا إلى كبح ذواتنا من الداخل من خلال السيطرة على الإرادة وذلك بمساعدة من النعمة الإلهية ضد أهواء الجسد وإماتته وبالتالي رفض كل مقترحاته لأن أي موافقة على الشر سوف تؤدي بالضرورة إلى الوقوع في الخطيئة.

كما يقول أوغسطين "فلنعمل على الأقل بمساعدة الله على ألا ندع الروح فينا يستسلم لهجمات الجسد حتى إذا انهزم وانقاد إلى القبول بالخطيئة آه! لا تظنن أن هذه الحرب الداخلية نخوضها وطالما لا تزال فيها ستكون السعادة ثمرة لنا نمتلكها بإرادتنا المنتصرة وأي إنسان وصل درجة عالية من الحكمة يدعي أنه تخلص من شهواته"[4] وعليه فمقاومة الروح للجسد هي أكبر معركة لذا وجب علينا قمع أنفسنا عن الشهوات الداخلية وبهذا يقلل من خطايانا لأنه كلما ازداد التقدم في الكمال ازداد البعد عن الخطايا.

وقد قدم لنا أوغسطين صورة رائعة عن المعركة هذه الأخيرة يشترك فيها كل من العالم والشيطان والتي سوف تكون ضد شهوات الجسد تبرز دور المحبة أي تناقض تام بين المحبة

[1] أوغسطين مدينة الله مج.2 ص 123
[2] أوغسطين مدينة الله مج 3 مصدر سابق ص 115
[3] بي بورات، مرجع سابق، 225
[4] أوغسطين مج3 ،مصدر سابق ص 116

واشتهاء ما للغير بينهما صراع يحاول كل منهما تدمير الأخر فالمحبة الحقيقية هي محبة الله أما اشتهاء ما للغير هو محبة العالم والأمور الدنيوية[1].

من هنا توصل أوغسطين إلى أن الشر فساد في المجتمع والفضيلة سبيل للنجاح ولتحقيق النجاح دعا المؤمن إلى أن "يركز جهوده بصفة رئيسية على النقاط الثلاثة الآتية: أن يعاقب جسده ويقمعه لكي يتجنب الخطية وأن يكون أكثر طاعة لناموس الله وأن يمارس الفضائل المسيحية وعلى وجه الخصوص المحبة الأخوية وأخيرا ممارسة الصلاة يضمنها كل واجبات التقوى وممارسة المحبة المقدسة"[2]، وعليه فعيشة الإنسان لا يجب أن تقتصر على الجسد فقط باعتباره لا يحقق أي منفعة لذلك وجب على الإنسان أن يبتعد عن تلك الرغبة التي تدفعه إلى أتباع الشهوات ويعيش وفق للروح متمنيا بذلك الراحة الأبدية وعليه فإذا قام الإنسان بتغيير نمط حياته بإتباع ناموس الله وممارسة الفضائل سوف ينتظر اليوم الموعود الذي تتحقق فيه سعادته باعتبارها لذة أبدية لا يحصل عليها سوى الملائكة الصالحون.

"فالفضيلة هي العمل بمقتضى أوامر الله والفضائل إذا قطعت صلتها بالله كانت رذائل فمن الخطأ جعل الفضائل تطلب لذاتها ولا من أجل نتائجها النافعة بل تطلب لأنها تتماشى مع إرادة الله"[3]، عليه فالمدينة الأرضية ليست مجردة من الفضائل إلا أن تلك الفضائل الموجودة فيها هي فضائل زائلة وليست أبدية دائمة وبعد إن وضع لنا أوغسطين أن الشر فساد في المجتمع والفضيلة هي السبيل الوحيد للنجاح فما هو السبيل الذي تتبعه البشرية للوصول إلى السلام الأبدي؟

[1] بي بورات ،مرجع سابق ص 215
[2] المرجع نفسه ,ص 215
[3] محمد مهران رشوان ، تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، دط ،القاهرة 1998ص 122

المطلب الثاني: الصراع هو السبيل الوحيد للسلام الأبدي

لقد ربط أوغسطين فكرة الخير والشر بالأخلاق كما أعتبر أن الخير هو أساس الأخلاق الجيدة والشر هو أساس الأخلاق الفاسدة وبما أن فكره مرتبط بنظرته حول المدينتين كما سبق ذكرها فإن صدور الصراع بين الخير والشر كان من هذا المنطلق فمدينة الله هي أساس كل خير أما الشر فما هو إلا نتيجة للإتباع الإرادة الفاسدة وقد اعتمد أوغسطين على الدين المسيحي وعلى الكتاب المقدس بهدف التأسيس لفكرة الصراع بين الخير والشر وصولا إلى السلام الأبدي، كما اعتمد على تجربته المعاشة والتي تزامنت مع الحرب الكبرى التي عاشتها روما فكيف أصل أوغسطين لفكرة الصراع وجعله السبيل الوحيد للسلام الأبدي؟

يمكن اعتبار الجدال الكبير الذي اشتد بين كل من روما والمسيحية هو البذرة الأولى التي تجسد لنا الصراع بين الخير والشر ذلك عندما اعتقد الوثنيون أن كل ما حل بروما من حروب يتحمل مسؤوليته المسيحيين باعتقاد منهم أن الآلهة أنزلت غضبها الشديد على روما بسبب الدين المسيحي لهذه الفكرة حاول أوغسطين التصدي لأن هذا التفسير كان مؤلما له باعتباره مؤمن بتعاليم المسيح فرد عليهم بكتابه الشهير "مدينة الله" والذي حاول من خلاله تهذيب النفوس التي تزعزعت وتصحيح أفكارهم الخاطئة اتجاه الدين المسيحي وقد حاول التعرف على الأسباب التي أدت إلى الصراع والحروب التي تعيشها روما وعلاقتها بالآلهة[1] وتوصل إلى أن "العناية الإلهية التي تتخذ الحرب سلاحا للإصحاح وسحق الفساد البشري وإذ تختبر تلك الضيقات النفوس البارة والصديقة تؤهلها بعد الامتحان إلى مصير أفضل"[2].

فالله قد فرض الصراع على خلقه ليس ظلما وإنما ضرورة حتمية فرضتها الخطيئة الأولى على خلقه وبالتالي فالخطيئة هي التي أدت إلى نشوء الصراع والحرب هي الحل

[1] عصام جميل ، مرجع سابق ص 100
[2] أوغسطين مدينة الله مج 1 .مصدر سابق ص10

الوحيد لتصحيح تلك إلا خطاء حيث يقول "أولئك الذين يريدون الحرب لا يبغون شيئا سوى النصر ورغبتهم الوحيدة هي الوصول عن طريق الحرب إلى السلام"[1].

كما توصل أن الأسباب الحقيقية وراء سقوط روما هي انتشار الترف وشيوع الانحلال الأخلاقي الذي إصابتها في الصميم وبالتالي فسقوطها يعود إلى إسلام شعبها لنزواته من اجل إشباع رغباته وعلى الرغم من تأكيدها على مبدأ الحرية وتحقيق البطولة والقوة والمجد إلا أن عدم توفرها على ديانة صحيحة هذا ما جعل منها مدينة أرضية فهي معرضة للانهيار وشانها شان كل المدن الأرضية التي مصيرها هو الزوال عكس مدينة الله الخالدة

أما بالنسبة للمتحكم في الحرب فقد اعتبر الله "الحكم في الحرب يجد لها بداية واستمرارية وغاية عندما يرى انه من الضروري أن يصحح مسار الجنس البشري أو يؤديه (...) ذلك النشاط هو مختص بالله الواحد الحق ولا ينازعه فيه مصارع هو الحاضر في كل مكان الغير مرتبط بمكان الحر من كل قيد"[2] فالله وحده القادر على التحكم في الصراع ووضع له بداية ونهاية إضافة إلى انه يرى أن الحروب العادلة لابد أن تكون متوافقة مع قانون الطبيعة أو بأمر من الله وعليه "الحرب مشروعة بل ضرورية أيضا لانتظام الحياة المجتمعية ولكن يجب أن لا تخرج تلك الحرب عن مبادئ الرحمة وطالب بان تسود روح المحبة حتى بين الأعداد المتخاصمين"[3].

حاول أن يوضح لنا أن الحرب يجب إن تكون لها هدف سامي قائم على المحبة رغم استخدام العنف وإن تكون لسبب عادل كاسترجاع الحقوق ومعاقبة المعتدي كل هذا راجع إلى الفلسفة المسيحية التي تدعو في الكتاب المقدس التي ترمي إلى تحقيق مصالح الناس في الدنيا والآخرة وتدعو إلى التسامح وعدم مقاومة الشر بالشر فالدين المسيحي "يمثل

---

[1] أوغسطين مدينة الله مج 3 مصدر سابق ص 131
[2] أوغسطين مدينة الله مج 1 مصدر سابق ص 355
[3] مصطفى الفوال صلاح :.سوسيولوجيا الحضارات القديمة ، دار الفكر العربي .دط .القاهرة 1982 ص 292

التآخي في الله والتضامن الإنساني والتآزر الاجتماعي"[1] كل هذا يعود إلى ما يحمله هذا الدين من أخلاق حسنة يهدف في اغلبها إلى الابتعاد على الحقد وجعل التسامح هو الهدف الأسمى.

وعليه فقد اقر أوغسطين إن تاريخ البشرية يحكمه صراع دائم بين هاتين المدينتين وفي كل زمان ومكان وعلى الرغم من التضارب الذي يبدو ظاهرا بين فكرة العناية الإلهية والصراع بين المدينتان فانه يرى إن الله بحكمه وقدرته جعل العناية تظهر في صورة صراع هذا الأخير بدا منذ إن خلق الله الإنسان على سطح الأرض وهذا راجع إلى الخطيئة التي وقع فيها ادم لتظهر بعد ذلك قوتان أساسهما المحبة وهما الأساس الذي تميز بسببه العالم وانقسم إلى هاتين القوتين هما الخير والشر "فالعالم عند أوغسطين منذ إن خلقه الله هو صراع بين نوعين من الحب حب الإنسان لله وحب الإنسان لنفسه (...) وانقسم التاريخ إلى تاريخ دنيوي وتاريخ مقدس والإمبراطوريات البابلية والإمبراطورية الرومانية هما نموذج الدولة الدنيوية وأورشليم هي مقام المدينة السماوية"[2] أي جعل الإمبراطورية الرومانية نموذج للشر وأورشليم نموذج للخير.

أما بالنسبة لبداية الصراع فهو يعود إلى الصراع بين ادم وإبليس في الجنة لينزل بعد ذلك إلى الأرض وينتقل إلى أبناء ادم ولعل قتل قابيل لأخيه هابيل اكبر دليل على ذلك فهابيل هو ابن المدينة السماوية وهو رمز للخير وفي المقابل نجد قابيل ابن مدينة الأرض وهو رمز للظلم والفساد والطمع من هنا اشد الصراع وأصبحت هناك حرب روحية وعليه فالصراع قد من به الله على خلقه وهو صراع ليس ابدي بل نهايته محتومة بانتصار إحدى القوتين من هذا المنطلق حاول أوغسطين تأسيس فكرة الصراع وتوصل إلى انه ما من وسيلة للوصول إلى السلام الأبدي إلا عن طريق الصراع ومن هنا عرف أوغسطين السلام ووصفه بقوله: "فالسلام هو ما يشتهيه الإنسان من خلال الحرب لأن كل إنسان في حرب يشنها

---

[1] محمد البشير شنيتي . أضواء على تاريخ الجزائر القديم بحوث ودراسات دار الحكمة .دط .الجزائر .2003 ص 177
[2] عبد الرحمن بدوي موسوعة الفلسفة، مرجع سابق ص 251

يسعى إلى السلام وما من أحد يطلب السلام لا يسعى إلى الحرب"[1] ومن خلال هذا التعريف فهو يؤكد أن الغاية الأساسية من الحرب هي تحقيق السلام وهذا الأخير هو الذي يسعون إليه الأشخاص من خلال القيادة والمعارك.

كما يؤكد أوغسطين أنه لا يمكن حصر الحرب في الجانب السياسي فقط وإنما قد يكون بين المرء ونفسه أو بين الحق والباطل أو بين النور والظلمة أي هناك دائما تناقض تام فالنفس تحاول قمع الجسد والجسد يحاول تدمير النفس هو الأخر كل هذا الصراع سوف يظل مستمر مادامت البشرية على قيد الحياة إلى غاية ظهور المسيح والذي بدوره سوف ينهي هذه الحرب وتختم لجانب مدينة الله وقوة الخير لأن السلام غير ممكن إلا فيها ولا يمكن أن تدوم إلا مملكة الروح أما المدينة الأخرى فهي في الأصل مدينة زوال لما فيها من عناصر الانحلال والفساد.

المطلب الثالث: السعادة الأبدية لمدينة الله

لكل بداية بطبيعة الحال ولأن الصراع بين الخير والشر له بداية عند أوغسطين كما سبق ذكرها فإنه بالضرورة سوف تكون له نهاية وبما أن تاريخ البشرية بدأ بخطيئة آدم التي أدت بدورها إلى انقسام العالم إلى مدينتين فإنه يمكن اعتبار هذا التاريخ هو وليد الصراع بين المجتمع الدنيوي الذي تسيطر عليه قوى الشر الناتجة عن غرائز الإنسان الجسدية وقوى الخير التي من مظاهرها حب السلام والبحث عن كيفية الخلاص وبالتالي فالصراع واضح منذ البداية وهو راجع إلى الاختلاف بين المدينتين فالأولى غاية أهلها إرضاء الله وتحقيق السعادة والثانية غايتها إرضاء الذات على حساب الجانب الروحي كما يرى أن هذا الصراع ليس دائم وإنما سوف ينتهي في أخر الزمان ويكون النصر حليف مدينة الله لن السلام غير ممكن إلا فيها ولا يمكن أن تدوم أي مملكة سوى مملكة الروح. فكيف توصل أوغسطين إلى القول أن السعادة الأبدية لمدينة الله؟

[1] أوغسطين مدينة الله مج3، المصدر سابق ص 131

يقول أوغسطين "لقد علمت بوجود مدينتين متداخلتين ومتميزتين الواحدة عن الأخرى وناقشت هذا الحال على مر الأجيال إحداهما تبغي السلام الأبدي وتدعى أورشليم والأخرى تفرح بالسلام الزمني وتدعى بابل"[1] فيعد أن ميز بين المدينتين وجعل لكل مدينة محبة تقوم عليها وغاية تريد الوصول إليها ووضح لنا أن بينهما صراع وبين لنا أن هذا الصراع له نهاية وهي العهد الأخير، عهد التدهور والانحطاط الخلقي وهو عهد يوضع فيه حد للصراع الذي دام كثيرا حيث تصل فيه البشرية إلى نهاية المطاف وتكاد فيه مدينة الله تزول ففيه سوف يرسل الله السيد المسيح هذا الأخير سوف يعمل على تطهير الناس من الخطايا كما يضمن لهم الخلود وتتحقق العدالة بإعطاء كل ذي حق حقه إما العقاب أو السلام الأبدي ولقد ورد في الكتاب المقدس" ومتى جاء أن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسي مجده ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء فيقيم الخراف على يمينه والجداء على اليسار ثم يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا: يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم لأني جعت فأطعمتموني عطشت فسقيتموني كنت غريبا فأويتموني"[2] فالله بعله المسبق وحكمته سوف يقوم بتحديد الأشخاص العنين بالخلاص ويمنحهم السعادة الأبدية كما وضح لنا أن المسيح عيسى ابن مريم بعدما تم صلبه وتعذيبه وقيام الله برفع روحه إلى السماء سوف يظهر في أخر الزمان لينقذ البشرية فيخلص الأبرار ويعاقب الأشرار وسوف ينتهي التمايز بين المدينتين "فبظهور المسيح ومع انتشار المسيحية انتهى التمايز والتناقض بين المدينتين ومن ثم وجب أن تتم الوحدة"[3] فبظهور السيد المسيح سوف ينتهي التمايز بين المدينتين وتتم الوحدة بينهما.

---

[1] أوغسطين خواطر فيلسوف في الحياة الروحية . مصدر سابق ص 385

[2] الكتاب المقدس إنجيل متى 25_31:36

[3] مصطفى النشار :فلسفة التاريخ شركة الأمل .ط1 .القاهرة .2004، ص 75

يؤكد أوغسطين أنه بعد صراع كبير بين الخير والشر لابد من الوصول للسلام ويوضح ذلك بقوله "الحرب من الأمل بالسلام الأبدي أفضل من العبودية دون العمل على الخلاص بكل تأكيد غننا نرغب في إنهاء هذه الحرب وفي أن يرفعنا لهيب الحب الإلهي إلى ذلك النظام الثابت اللامتغير من السلام والاستمرار الذي يعطي الحقائق السامية الأفضلية على ما دونها من حقائق ولكن التوق إلى مثل ذلك الخير سوى حلم (وهذا ما لا نرضاه) فإننا نفضل النزاعات الأبدية في الصراع الثنائي على الاستسلام بلا مقاومة إلى شهواتنا الطاغية"[1]، انطلاقا من هذه الفكرة نجد أن أوغسطين حاول أن يعرض لنا موقفه الرافض للإتباع الشهوات الموجودة في المدينة الأرضية كما وضح لنا أنه مستعد لتقبل كل أنواع الحرب ضد قوى الشر الصادرة عن الشيطان ولتحقيق ذلك يجب التضحية لأنه بدون تضحية وبدون حرب سو يظل الشر في العالم وسوف يظل الإنسان يعيش في الألم والشقاء وعبئ الخطيئة عالق بالبشرية لأن الخطيئة موجودة في كل نفس ولا يمكن إنكار ذلك وللتخلص من ذلك لابد من تحقيق العدالة الحقة المرتبطة بالمسيحية فسر الحياة الأبدية هو إتباع القيم الروحية ولهذا يجب شكر المسيح لأنه بفضله سوف تتخلص البشرية من الخطيئة التي كانت تلاحقها وفي هذا يقول "لا شيء يخلصنا من جحيم هذه الحياة التعيسة سوى نعمة المخلص يسوع المسيح إلهنا وربنا وفي الحقيقة ذاك هو معنى أسم يسوع: أي المخلص وهو الذي يجب بنوع خاص التضرع إليه خشية من أن نخرج من هذه الحياة إلى حياة أخرى أشقى منها تنتظرنا ملائ بوسا وتعاسة أو بالأحرى تكون موتا أبديا"[2] فعمل المسيح هنا هو تخليص البشرية والمقصود بالخلاص هنا هم سكان مدينة الله الخيرة وليست الشريرة لذلك وجب على الإنسان عدم القيام بخطيئة اكبر من الأولى وعدم الاعتداء على أوامر المسيح بل يجب إتباعه ليضمن لهم السعادة الأبدية "وفي النهاية أن المسيح يسوع سوف يعطي كل

[1] أوغسطين :مدينة الله ج3. مصدر سابق .ص 290

[2] المصدر نفسه ، ص 384.

مدينة ما تستحقه العذاب للشيطان وزبانيته والسعادة الأبدية للأبرار"[1] فالمسيح سوف يعاقب الأشرار ويجازي الأشرار.

كما يؤكد أوغسطين أن ما من حل للوصول إلى السعادة إلا عن طريق المسيح ويدعو إلى التمسك به فبفضله سوف ينال كل إنسان جزاءه ويستقر العالم وبالتالي تتحقق غاية الأشخاص الخيرين الذين سوف يصلون في النهاية إلى السعادة الأبدية إلى جانب الملائكة والقديسين حيث يقول لهم" اطردوا محبة العالم الشريرة من قلوبكم لكي تمتلؤ بمحبة الله"[2] في المقابل سوف يعاقب الأشرار في النار الأبدية ويصف ذلك بالاعتماد على الكتاب المقدس بقوله" اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة للشيطان وملائكته"[3] وفي هذا أشارة ودليل على أن الله مهتم بعباده فقد دعاهم إلى ترك محبة العالم والعمل من أجل الوصول إلى محبة الله وهذا واضح في قوله" إذا ملكت فينا محبة العالم فلا يوجد موضع لمحبة الله فينا اطردوا محبة العالم من قلوبكم لتسكن فيكم محبة الله افسحوا الطريق لما هو أفضل كفوا عن محبة العالم وسوف تبدأ محبة المسيح أن تسكن فيكم"[4] فالله يدعوهم إلى محبته ومحبة المسيح فإذا عصاه الإنسان وأخطأ سوف يتركه على هواه ويصبر إلى حين رجوعه إلى الطريق الصحيح وإن لم يفعل ذلك سوف يحاسبه.

وقد رآى أوغسطين أن "مجيء المسيح النازل من السماء ليدين الأحياء والأموات وهو المجيء الذي تعترف وتؤمن به الكنيسة الله الحق بأسرها ذاك ما نسميه اليوم الأخير للدينونة الأخيرة"[5] وعليه فقيام لمسيح أمر ضروري لا مفر منه وعودته هي بمثابة دعوة لتطهير النفس الإنسانية وتخليصها فكل مدينة سوف تنال جزاءها كما تستحق.

---

[1] أوغسطين مدينة الله مج 3 المصدر سابق ص 255.
[2] أوغسطين:عظات على رسالة يوحنا الأولى . المصدر سابق ص 41.
[3] الكتاب المقدس متى 25:41.
[4] أوغسطين: عظات على رسالة يوحنا الأولى. المصدر سابق ص 40.
[5] أوغسطين مدينة الله مج 3 المصدر سابق ص 170.

لقد حاول أوغسطين أن يدافع بكل ما يملك من جهد على المسيحية فاعتبر أن المدينة الأرضية مدينة زائلة أما الوحيد الدائم والأبدي هو مدينة الله وقد قدم لنا مثال بروما باعتبارها من الدول الأرضية ولهذا "فسر سقوط روما باعتبارها مدينة أو مملكة أرضية لابد أن يكون مصيرها الزوال كما في المملكة الأرضية دائما وأبدا من عوامل الانحلال والفوضى والصراع ونزعات البشر والعدوان والتحكم ويرى أن المدينة الباقية الأزلية هي مدينة الله وهي مملكة المسيح (...) وتجسدت في الكنيسة التي اعتنقت المسيحية"[1] وعليه فالمدينة الأرضية هي مدينة الشر سكانها لا يؤمنون بالمسيح ولا يعرفون الطريق إلى الله وقد ضرب لنا مثال بروما ليوضح لنا أن نهاية المدينة الأرضية مصيرها مثل مصير روما وهو الزوال في المقابل بين لنا أن الخير والسلام في الكنيسة باعتبارها مملكة الله وهي مثال أعلى لها.

وقد بين لنا أن الملكوت الأعلى سوف يضم المسحيين دون غيرهم لأنهم وحدهم اتحدوا مع الله وكانوا مخلصين للأوامر الكنيسة أولئك فقط سوف ينتقلون للعيش في مدينة الله الخالدة ويوضح هذا بقوله "هنالك سنكون في السلام وسوف نرى ونحب سوف نحب ونسبح ذاك ما سيكون في النهاية دون نهاية وأية نهاية لنا نكون سوى الوصول إلى الملكوت الذي لانهاية له"[2]، فالمسحيين هم فقط سوف ينعمون بالسلام ويصعدون إلى الملكوت الأعلى مع القديسين ويصلون إلى السعادة التي طالما أرادوا الوصول إليها وعليه" فاليوم الأخر هو يوم اكتمال مدينة الله أي هو نهاية التاريخ وبداية الأبدية"[3] فمدينة الله هي التي سوف تفوز وأبناءها هم الذين سوف ينعمون بالسعادة الأبدية في المقابل سوف يعاقب كل من تمرد على أوامر الله وعصاه.

وعليه فأوغسطين يؤكد انه في مدينة الله "تبطل حرب الفضائل ضد الرذيلة والشر لأنها تتمتع بجائزة النصر الأبدي الذي لا يعكر صفوه عدو، تلك هي حقا السعادة النهائية نهاية

[1] محمد مهنا نصر: في تاريخ الأفكار السياسية وتنظير السلطة .المكتب الجامعي الحديث .دط الإسكندرية .1999 .ص112.
[2] أوغسطين مدينة الله مج 3 المصدر سابق ص414 .
[3] زينب محمود الخضيرى المرجع سابق ص 10.

الكمال الذي لا تعقبه نهاية هاهنا يسمى الإنسان سعيدا عندما تجوز السعادة مهما كانت بسيطة تؤمنها لنا حياة صالحة[1] ،إذن نهاية التاريخ عند أوغسطين تكون بفوز مدينة الله على مدينة الشيطان وبالتالي فوز قوى الخير على قوى الشر من خلال ظهور السيد المسيح الذي سوف يعمل على معاقبة الأشرار وتخليص الأبرار الخيرين نتيجة لأعمالهم الصالحة ويقول "في هدا اليوم بالذات الذي نحن ندين أو ندان كذلك منذ بداية الجنس البشري حين طرد من الفردوس وابعد عن الشجرة الحياة أبوينا الأولين اللذان خطئا خطيئة كبرى"[2]. وعليه فإن في مدينة الله سوف تزول تلك الفوضى الناتجة عن ضعف القيم الأخلاقية وسوف تعم السعادة من خلال نصر المسيح لأنصاره الذين تحملوا كل الشقاء والمعانات الموجودة في المدينة الأرضية فبعد تاريخ طويل من المعانات والصراع ستكون مدينة الله هي الملجأ الوحيد والأبدي للأنصار المسيح وعليه فالمدينة الأرضية مهما بلعت ذروتها في التقدم والازدهار سوف تنهار أمام القوة الروحية للمدينة السماوية.

فكل البشرية تمر بالصراع بين الخير والشر ليحسم بعد قدوم المسيح لصالح قوة الخير والغلبة لها باعتبارها هي التي أحدثت القطيعة مع شهوات الجسد لتصل في النهاية إلى السلام الأبدي وهذا النعيم الموجود في المدينة السماوية لم يكن جاهزا لها وإنما هو ثمرة للمعانات والصبر على الألم "ذلك ما يسميه أوغسطين اليوم الأخير للدينونة"[3] إذن الخلود هو حليف المدينة الإلهية والنصر من نصيب قوة الخير التي ترعاها نعمة المخلص يسوع الذي بدوره يفصل الفضيلة عن الرذيلة ويسعى إلى القضاء عل جذور الشر، وما يسعنا قوله هنا إن البشر ما هم سوى أفراد زاهدون في الدنيا من أجل غاية أسمى لا تزول وهي العمل على الوصول إلى الملكوت السماوية لأن الحياة الأرضية ما هي إلا تمهيد للراحة الأبدية المقدسة.

---

[1] أوغسطين مدينة الله ج3 المصدر سابق ص 129

[2] المصدر نفسه ص129

[3] المصدر نفسه ،ص 170

خلاصـــــــــــــة:

في نهاية هذا الفصل يمكننا القول أن أوغسطين جاء بنظرية المدينتان بهدف توضيح موقفه من الصراع بين الخير والشر ذلك من خلال قوله بأن الخير يتجسد في مدينة الله القائمة عن حب الله وأن الشر يتجسد في مدينة الشيطان القائمة على حب الذات والصراع بينهما هو صراع أزلي بدأ مع بداية الخلق وسوف ينتهي في أخر الزمان بقمع بفوز مدينة الله التي سوف يخلص المسيح كل من اتبعها في المقابل سوف تزول مدينة الشيطان لما فيها من عناصر الانحلال والفساد كما بين لنا أنه ما من سبيل للوصول إلى السلام الأبدي من غير الصراع وهذا راجع غلى اعتباره فريضة من بها الله على خلقه وهذا الصراع نهايته سوف تكون بقمع قوة الخير لقوة الشر.

الخاتمة

الخاتمة

يظهر من تحليل فكرة الصراع بين الخير والشر لدى القديس أوغسطين أن المشكلة الأخلاقية لديه غلب عليها الطابع الديني حيث نجده قد استند في عرضه لفكرة هذا الصراع إلى ما جاء في الكتاب المقدس وبالتحديد سفر التكوين الذي تحدث عن كيفية عصيان آدم وحواء لأوامر الله والتمرد عليه عندما أكلا من الشجرة المحرمة فوقعا في الخطيئة.

علما أن جدلية الصراع بين الخير والشر تمتد جذورها إلى عهد قابيل وهابيل ذلك من خلال الجشع والطمع الذي أنتاب الإنسان وسيطر علي حياته لأن الإنسان يعيش حب الجسد وانه لا يطلب الخير في ذاته بل لذاته ،وهذا ما مر به أوغسطين حين بين لنا أنه ما هو إلا فيلسوف جامع بين الأضداد والمتناقضات تتعاقب فيها صراعات مختلفة الثنائيات تتجاذبه قوى الخير والشر وآلة النور والظلمة وحب الذات والحكمة.

كما أنه في بحثنا عن مشكلة الشر ومصدره عند أوغسطين توصلنا إلى أنه كغيره من الفلاسفة يعتبر أن الشر صفة كامنة في النفس الإنسانية وأن الإنسان هو الذي يتبنى هذه الصفة في نفسه اعتقادا منه أنها تعود إلى إرادة الإنسان الحرة فبعد خلق الله للإنسان على صورة حسنة وإرادة خيرة تحولت تلك الإرادة الخيرة إلى إرادة شريرة بعد التمرد على الله ومنذ تلك اللحظة انقسم العالم وظهرت الشرور ففسدت الأخلاق وانتشر الفساد والظلم وعاش الإنسان في الأرض عيشة يملؤها العذاب والشقاء كما استنتجنا أن الشر عند أوغسطين ما هو إلا حرمان الطبيعة من الخير وهو كغيره من الفلاسفة عمل على تقسيمه إلى نوعان طبيعي وأخلاقي في المقابل عرف الخير على أنه السير على مقتضى القانون الإلهي ومصدره هو الله والإرادة

الخيرة إضافة إلى ما توصلنا إليه أيضا هو أن أوغسطين لم يتجاهل عنصر مهم في هذا المجال ألا وهو الفضيلة هذه الأخيرة اعتبرها من أهم الأسباب التي تساعد الإنسان على التخلص من الرذائل والشرور وعلى الرغم من تقسيمها إلى أنواع إلا أنه رأى أنها في مجملها تهدف إلى شيء واحد وهو تحقيق السعادة والوصول إلى محبة الله باعتبارها حرب على الرذائل.

وأهم ما جاء به أوغسطين فكرة المدينتان التي لم يسبقه لها غيره كحجة لتبرير موقفه من الصراع بين الخير والشر وتوصلنا إلى أن الشر فساد في المجتمع والفضيلة هي السبيل الوحيد للنجاح والوصول للخلاص كما استنتجنا أيضا أنه في تبرير موقفه من الصراع بين الخير والشر توصل إلى أن الصراع هو السبيل الوحيد للسلام الأبدي باعتباره نعمة من النعم التي من بها الله على خلقه .وقد دعا البشرية للابتعاد عن الشهوات وكبح النفس من اجل الوصول إلى السعادة الأبدية التي سوف تكون يوم الدينونة الأخيرة والسبت الأبدي الذي فيه سوف يظهر السيد المسيح ليخلص البشرية. والأشخاص المعنيين بالخلاص حسب أوغسطين هم أولئك الذين اتبعوا ناموس الله ولم تغرهم الملذات الدنيوية هؤلاء سوف يعيشون في مدينة الله الأبدية في حين سوف يكون مصير الذين اتبعوا الملذات الدنيوية العيش في شقاء وعذاب لأنها مدينة فانية وبالتالي في نهاية الزمان سوف تنتصر مدينة الله وتتغلب قوة الخير على قوة الشر.

وما يمكننا قوله في الأخير أن أوغسطين هو ذلك الرجل الذي تتقاسمه القارات وتمزقه الحضارات، وتتباين فيه الثقافات، قدمه في الجزائر وقلبه في روما. هذه الشخصية القوية لم يأت بعدها ما يوازيها، غنية هي الأوغسطينية فهي دائما معاصرة لا تحيى في الكاثوليكية فقط بل في الإنسانية جميعا كونها تقدم حلولا

وتعطي اقتراحات، فعظمة أوغسطين لما أنتجه من أثار على الصعيد الديني والفلسفي في القرون الوسطى بصفة عامة والعصور التي تليه بصفة خاصة فاق كل الحدود والتصورات وفي إطار هذا يبدو لنا أوغسطين معاصر لكل الأجيال ولكل الأزمان.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا :قائمة المصادر

1_ الكتاب المقدس

01- أوغسطين محاورة المعلم ، تر : حسن حنفي ، مكتبة الأنجلو مصرية ، ط2، القاهرة ،1978

02- أوغسطين. مدينة الله . تر: الخوري يوحنا الحلو .(دار المشرق .مج2،ط2، بيروت 2007

03- أوغسطين: مدينة الله . تر: الخوري يوحنا الحلو . (دار المشرق .مج1.ط1، بيروت2006

04- أوغسطين . مدينة الله . تر:الخوري يوحنا الحلو . دار المشرق مج3. ط2.2007. بيروت

05- أوغسطين: موعظة على الجبل . تر القس بشرى كامل . مطبعة الكرنك .دط ، الإسكندرية 1962 أوغسطين ،الإعترافات ،تر الخوري يوحنا الحلو (دار المشرق ،ط4 ، بيروت لبنان ، 1991)

06- أوغسطين:الإعترافات .تر إبراهيم الغربي ،(المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون ،ط1،تونس،2012

07- أوغسطين .الرسائل المتبادلة بين هيرونيمس وأوغسطين .تر سعدالله جحا .دار. المشرق ط1.بيروت ،لبنان. 2011

08- أوغسطين : إقامة لعازر- لباس العرس.ترجمة وإعداد: مرقوريوس الأنبا بيشوي(مكتبة النسر.ط1.2007

09- أوغسطين . خواطر فيلسوف في الحياة الروحية . تر: الخوري يوحنا الحلو . (دار المشرق ،ط7. بيروت . لبنان . 2004

10- أوغسطين .عظات على رسالة يوحنا الأولى ، تر: بنيامين مرجان ، تق : الأنبا موسى.(دار المشرق. دت. دب

11- أوغسطين :قيامة المسيح وقيامتنا . تق:الأنبا إيساك. مكتبة السيدة العذراء . دط. الإسكندرية.1998

12- أوغسطين : محاورة الذات . تر: يوحنا الحلو دار المشرق . ط1، بيروت، 2005.

ثانيا_قائمة المراجع:

01- حسن حنفي حسين . نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط (أوغسطين أنسلم . توما الاكويني . المكتبة الأنجلو مصرية . ط2. القاهرة 1978.

02- جاريث_ب_.ماثيوز: أوغسطين .تر: أيمن فؤاد زهري (المركز القومي للترجمة،ط1 القاهرة ،مصر.2013.

03- زينب محمود الخضيري. لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين .(دار قباء . دط القاهرة.1997)

04- سباين جورج، تطور الفكر السياسي، تر: جسن جلال العروسي، تق: عثمان جليل عثمان، دار لمعارف، ج 1، ط4، (د.ن)، 1917

05- عبد الرحمن بدوي . فلسفة العصور الوسطى .(وكالة المطبوعات ، دار القلم . ط3، الكويت ، بيروت 1979

06- عامر عبد زيد(وأخ)، التأويل اللاهوتي للتاريخ عند القديس أوغسطين، إشراف علي عبود، دار الروافد الثقافية، ط1، بيروت، لبنان، 2012

07- ليوشتراوس جوزيف كروبسكي: تاريخ الفلسفة السياسية، تر: محمود سيد احمد، المجلس الأعلى لثقافة، ط1، ج1، القاهرة، 2005

08- علي زيغور.الفلسفة في أوربا الوسيطية وعصر النهضة والإصلاح.(دار الحياة.دط.بيروت 1998

09- علي زيغور،أوغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطية، دار إقرأ، ط1 . بيروت ،1983

10- علي عبود المحمداوي (وأخ)، فلسفة التاريخ (جدل البداية والنهاية والعود الدائم) دار الروافد للنشر والتوزيع ط1،بيروت ،2012

11- فراس السواح . ألغاز الإنجيل .(دار التكوين للتأليف والتوزيع والنشر .ط2.دمشق . سوريا 2012
12- فريدريك كوبلستون . (تاريخ الفلسفة من أوغسطين إلى دانز سكوت) تر إمام عبد الفتاح إمام وإسحاق عبيد ، المركز القومي للترجمة، ط1 .القاهرة مصر، 2010
13- كراس المحرقي . شوكة الخطيئة ، (شركة الطباعة المصرية .ط5..مصر،دت
14- كامل محمد محمد عويضة: أوغسطين فيلسوف العصور الوسطى .(دار الكتب العلمية .ط1، بيروت لبنان 1993
15- كامل محمد محمد عويضة ،أوغسطين فيلسوف العصور الوسطى دار الكتب العلمية ط1 بيروت لبنان ،1993
16- كراس المحرقي: مشكلة الشر. مر:نيافة الأنبا رافائيل .(شركة الطباعة المصرية .ط2..مصر دت
17- كامل محمد محمد عويضة .الفلسفة المسيحية في العصور الوسطى .(دار الكتب العلمية ط1 بيروت لبنان 1993
18- كلاير تانز : هذه عقائدنا المنشورات المعمدانية . بيروت . (د.ط).1972
19- لوديي عبد السلام :صراع أوغسطين،دن،ط1.دب.1990
20- محمد مهران رشوان ، تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، دط، القاهرة 1998
21- مصطفى الفوال صلاح .سوسيولوجيا الحضارات القديمة ، دار الفكر العربي دط القاهرة 1982
22- محمد البشير شنيتي . أضواء على تاريخ الجزائر القديم بحوث ودراسات دار الحكمة دط الجزائر 2003
23- مصطفى النشار فلسفة التاريخ شركة الأمل ط1 القاهرة 2004
24- محمد مهنا نصر في تاريخ الأفكار السياسية وتنظير السلطة المكتب الجامعي الحديث دط الإسكندرية 1999 .
25- ماهر عبد القادر محمد ، دراسات في فلسفة العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية ، دط ،مصر ، 2000

26- ،مصطفى النشار :مدرسة الإسكندرية الفلسفية بين التراث الشرقي والفلسفة اليونانية ، دار المعارف ط1.القاهرة،1995
27- محمد إبراهيم تركي .مدخل إلى الفلسفة المسيحية في أوربا في العصر الوسيط . دار الكتب القانونية .دط. القاهرة ،دت.
28- هنري تشادويك : أوغسطينوس .تر : أحمد محمد الروبي ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة . ط1، القاهرة ، مصر ، 2016
29- هنري إيرينيه مارو. القديس أوغسطين و الأوغسطينية . تر: سعدالله سميح جحا ،دار دمشق . ط.1، بيروت،2007
30- هاشم يحى الملاح، المفسر في فلسفة التاريخ، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت 2007
31- يعقوب المالطي : نظرة شاملة لعلم الباترولوجي في الستة قرون الأولى ، دير الشهيد العظيم ، ط1 ، الإسكندرية 2008
32- يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط ،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،دط ، القاهرة ، 2012
33- أبو الحسن علي ابن الأثير . الكامل في التاريخ . تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي . (دار الكتب العلمية . بيروت .ط 1،ج1.1978
34- أبو الفداء الحافظ ابن كثير : البداية والنهاية .(مكتبة المعارف . بيروت . (دط). ج1.1990
35- اتين جلسون : روح الفلسفة في العصر الوسيط .تر: إمام عبد الفتاح إمام . مكتبة مدبولي .(ط3).1. القاهرة 1996
36- باور أحمد حاجي : الفلسفة السياسية من كونفشيوس إلى هيغل دار أسامة للنشر والتوزيع .ط1.الأردن .عمان .2016
37- برتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، تر: زكي نجيب محمود، لجنة التأليف والترجمة، ط4، (د.ن) 1968
38- برتراند راسل، حكمة الغرب، عرض تاريخي للفلسفة الغربية في اطارها الاجتماعي والسياسي، تر: فؤاد زكريا، دار علم المعرفة، (د.ط)، ج1، الكويت، 1983

39- التلوع .أبو بكر إبراهيم: الأسس النظرية للسلوك الأخلاقي. منشورات قاريونس.دط. بنغازي .ليبيا 1995
40- جونو وبجوان : تاريخ الفلسفة والعلم في أوربا الوسيطية ، تر :علي زيغور وعلي مقلد ،(مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر .دط. بيروت.1993
41- حافظ أشرف : معالم الفكر الأوربي في العصر الوسيط. (دار طيبة.ط1، القاهرة 2004
42- حسن حنفي و آخرون : تطور الفكر الفلسفي .(مطبوعات جامعة الإمارات ، الكويت. ط1991،1
43- زيد عباس كريم، أسبينوزا والفلسفة الأخلاقية إشراف احمد عبد الحليم عطية، دار التنوير، دط، بيروت، 2008
44- عصام زكريا جميل . مصادر فلسفية ، دار المسيرة للنشر والتوزيع دط، عمان ، 2011،
45- غنار سكيريك و نلز غيلجي، تاريخ الفكر الغربي من اليونان القديمة إلى القرن العشرين، تر:حيدر حاج إسماعيل المنظمة العربية للترجمة ط3 لبنان 2012
46- اليكسي جور افيسكي، الإسلام والمسحية، تر: خلف محمد جراد، دار عام المعرفة، ط1، الكويت، 1996

ثانيا :قائمة الموسوعات والمعاجم :

01- عبد الرضا حسين الطعان (واخ)، موسوعة الفكر السياسي عبر العصور، دار الروافد الثقافية، ط1، لبنان، 2015
02- فؤاد كامل وأخرون ، الموسوعة الفلسفية المختصرة ، مر: زكي نجيب محمود ،در القلم ،بيروت .لبنان ،دت
03- مراد وهبة . المعجم الفلسفي . دار قباء الحديثة للنشر والتوزيع . القاهرة . 2007

04- جورج طرابيشي. معجم الفلاسفة . دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت . ط2006.3.

05- رحيم أبو رغيف الموسوي . الدليل الشامل . دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع،ج2015.3. دب

06- عبد الرحمن بدوي : موسوعة الفلسفة ،(المؤسسة العربية ، بيروت ، لبنان .ط1، ج1، 1984)

قائمة المذكرات:

1 _عفيان محمد، التوظيف السياسي لليوتوبيا (القديس أوغسطين نموذجا)، مذكرة التخرج للماجستير للفلسفة، جامعة الجزائر، الجزائر، 2008/ 2009

قائمة المجلات و الدوريات :

1- موسى معيرش : مشكلات القيم في فلسفة أوغسطين . مجلة تبين الدراسات الفكرية والثقافية . مجلة فصلية محكمة . المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات . العدد 16. ربيع 2006

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

إهداء

شكر وعرفان

مقدمة.. أ

الفصل الأول: السيرة الفكرية لأوغسطين وأهم أعماله............................ 08

المبحث الأول: حياته الفكرية ومرجعياته الدينية 08

المطلب الأول: حياته.. 08

المطلب الثاني: مرجعياته الدينية والفكرية 13

المطلب الثالث: أثاره الفكرية 16

المبحث الثاني: طبيعة الاتجاه الفلسفي عند أوغسطين 19

المطلب الأول: طبيعة تحوله العقلي 19

المطلب الثاني: السمات العامة لفلسفته...21

المطلب الثالث: منهجه 23

الفصل الثاني: المشكلة الأخلاقية وجوهر الخير والشر عند أوغسطين..............29

المبحث الأول: الخطيئة وأصل الشر 30

المطلب الأول: الخطيئة...30

المطلب الثاني: أصل الشر 37

فهرس المحتويات

المطلب الثالث: أنواع الشر...41

المبحث الثاني: مشكلة الخير عند أوغسطين 44

المطلب الأول: فكرة الخير...44

المطلب الثاني: الفضيلة 47

المطلب الثالث: أنوع الفضيلة 50

الفصل الثالث :حقيقة المدينتان وموقف أوغسطين من الصراع بين الخير والشر ...59

المبحث الأول: بنية المدينتان وغايتهما.......................................60

المطلب الأول: مدينة الله ومدينة الشيطان 60

المطلب الثاني: الأصول المرجعية للمدينتان والغاية منهما 64

المطلب الثالث: خصائص المدينتان.......................................69

المبحث الثاني: موقف أوغسطين من الصراع بين الخير والشر 75

المطلب الأول: الشر فساد في المجتمع والفضيلة سبيل للنجاح 75

المطلب الثاني: الصراع هو السبيل الوحيد للسلام الأبدي..........................79

المطلب الثالث: السعادة الأبدية لمدينة الله 82

الخاتمة...90

قائمة المراجع والمصادر... 94

الفهرس... 101

ملخص:

إن هذا العمل ليس إلا محاولة للتأصيل الفلسفي لفكرة أوغسطين حول جدلية الصراع بين الخير والشر والذي توصلنا فيه إلى أن الصراع بين الخير والشر الذي أبرزه فيما سماه مدينة السماء ومدينة الأرض والذي توصلنا فيه إلى أن الصراع بين الخير والشر هو صراع أزلي وأبدي والذي بدأ في الملكوت الأعلى بين آدم وإبليس لينتقل بعد ذلك إلى الأرض بين ابني آدم هابيل وقايين ليبقى بعد ذلك هذا الصراع مستمرا على مر التاريخ والأزمان والذي ما إن يكد يخفو حتى تتقد جمرته من جديد والذي سيبقى كذلك إلى غاية الدينونة الأخيرة التي سيظهر فيها السيد المسيح الذي بدوره سيعمل على تخليص الأبرار ومعاقبة الأشرار وتتحقق بذلك العدالة الإلهية وتنتصر قوة الخير على قوة الشر وتكون السعادة الأبدية من نصيب أتباع مدينة الله.

Résumé :

Cet ouvrage n’est qu’une tentative de rationalisation de l’idée d’Augustin sur la dialectique du conflit entre le bien et le mal, dans laquelle nous avons constaté que le conflit entre le bien et le mal, qu’il a mis en exergue dans ce qu’il a appelé la ville du ciel et la ville de la terre, a conclu que le conflit entre le bien et le mal est un conflit éternel, Entre Abel et Adam, puis sur la terre entre les fils d'Adam, Abel et Caïn, de sorte que ce conflit se poursuivra au cours de l'histoire et du temps, qui sera bientôt caché jusqu'à ce que sa majesté soit renouvelée, ce qui le restera jusqu'au dernier jugement dans lequel Christ apparaîtra. Liquidation Pour les justes et le châtiment des méchants, ainsi la justice divine est réalisée, et le pouvoir du bien l'emporte sur le pouvoir du mal et le bonheur éternel de la cité de Dieu.